# الوحدة

عناصر الموضوع


| | |
|---|---|
| مفهوم الوحدة | ٣٧٢ |
| الوحدة في الاستعمال القرآني | ٣٧٣ |
| الألفاظ ذات الصلة | ٣٧٤ |
| أنواع الوحدة في القرآن | ٣٧٦ |
| الحث على الوحدة | ٣٨٠ |
| الوحدة والعبادات | ٣٩٣ |
| أسباب الوحدة | ٤٠١ |
| عوائق الوحدة | ٤٠٩ |
| ثمار الوحدة | ٤١٧ |

# مفهوم الوحدة

## أولًا: المعنى اللغوي:

ترجع لفظة (الوحدة) في معاجم العربية إلى الجذر الثلاثي (وحد)، والناظر في تلك المعاجم يجد أن مادة (و ح د) لها عدة معانٍ؛ قال ابن فارس: « الواو والحاء والدال أصلٌ واحد يدل على الانفراد، ومن ذلك الوحدة، وهو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثله، والواحد: المنفرد »(1).

وفي لسان العرب: الواحد بني على انقطاع النظير وعوز المثل، والوحيد بني على الوحدة والانفراد عن الأصحاب من طريق بينونته عنهم، والعرب تقول: أنتم حي واحدٌ، والوحدة: الانفراد؛ يقال: رأيته وحده، وجلس وحده، وقيل: الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثل، ولا يجمع هذين الوصفين إلا الله عز وجل (2).

«الوحدة الانفراد، والواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتة» (3).

## ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

الوحدة: هي اتحاد الدول أو البلاد والأفراد والجماعات في سائر أمور حياتهم ومعاشهم وسيرتهم وغايتهم، وبموجب هذه الوحدة يصبح الجميع شيئًا واحدًا، أو أمةً واحدةً، يقال: اتحد البلدان، أي: صارا بلدًا واحدًا (4).

ووحدة الأمة الإسلامية هي: توحد المسلمين جميعًا، واجتماعهم على أساس الدين الإسلامي الذي أنزله الله عز وجل، بحيث تلغى بينهم جميع الروابط الأخرى، كالروابط العرقية والقومية وروابط اللغة، ويصبح القاسم المشترك بين أفراد هذه الجماعة هو الدخول في دين الإسلام؛ عقيدة وعبادة ونظام حياة.

---

(1) مقاييس اللغة ٦/ ٩٠.
(2) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٦/ ٤٧٨٠، مختار الصحاح، الرازي ص٧٤٠.
(3) المفردات، الراغب الأصفهاني ص٤٩٤، التوقيف على مهامات التعاريف، المناوي ص٧٢٠.
(4) انظر: وحدة الأمة الإسلامية في السنة النبوية، أحمد عمر هاشم ص٧.

## الوحدة في الاستعمال القرآني

وردت مادة (وحد) في القرآن الكريم (٩) مرات[١].

والصيغ التي وردت، هي:

| الصيغة | عدد المرات | المثال |
|---|---|---|
| اسم الفاعل مؤنثا | ٩ | ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ﴾ [يونس:١٩] |

**الوحدة في أصلها بمعنى الانفراد، وتستعمل في معنى الاتحاد والتوحد، أو صيرورة الاثنين فما فوقها واحدا[٢].**

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص٧٤٥، المعجم المفهرس الشامل، عبد الله جلغوم، باب الواو ص١٤٠٤.

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٦/ ٩٠، تاج العروس، مرتضى الزبيدي، ٩/ ٢٧٤، مقاصد القرآن في السبع المثاني، أم سلمى محمد صالح، ص٣٠٤.

## الألفاظ ذات الصلة

### ١ الاجتماع:

الاجتماع لغة:

التئام الشيء، وضم بعضه إلى بعض، وهو خلاف التفريق[(١)].

الاجتماع اصطلاحًا:

هو اجتماع الناس، وعدم تفرقهم، واجتماع القلوب بائتلافها، وعدم تفرقها.

الصلة بين الاجتماع والوحدة:

الاجتماع من صور وحدة الأمة الإسلامية، وهو مطلب عزيز، يتجلى مظاهره في أعظم الشعائر التعبدية؛ كالصلاة مع الجماعة، ومناسك الحج.

### ٢ الاعتصام:

الاعتصام لغة:

العصم: الإمساك، والاعتصام: الاستمساك.

قال تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا ﴾ [آل عمران:١٠٣].

أي: تمسكوا بعهد الله[(٢)]. والاعتصام بحبل الله: هو ترك الفرقة، واتباع القرآن[(٣)].

الاعتصام اصطلاحًا:

ولا يختلف معنى الاعتصام في الاصطلاح عن معناه في اللغة.

الصلة بين الاعتصام والوحدة:

الاعتصام: الاستمساك بالشيء، افتعالٌ منه، والمقصود الاستمساك بحبل الله، وهو بهذا الاعتبار وسيلة لوحدة الأمة، وطريق إليها؛ ولهذا يقال: الاستمساك بحبل الله سبب للاجتماع ووحدة الصف، وعصمة من الخلاف والتفرق.

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ١/ ٤٧٩، لسان العرب، ابن منظور ٨/ ٥٣.
(٢) انظر: تاج العروس، الزبيدي ٩/ ٢٠٥، لسان العرب، ابن منظور ٣/ ٤١٨.
(٣) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٥٦٩.

## ٣ التفرق:

### التفرق لغةً:

خلاف التجمع، تفرق القوم وتفارقوا، والاسم الفرقة[١].

والتفريق: خلاف التجميع، يقال: فرق الشيء تفريقًا وتفرقة: بدده، وهو متعدٍ، أما التفرق فلازم. والتفريق أبلغ من الفرق؛ لما فيه من معنى التكثير[٢].

### التفرق اصطلاحًا:

لا يخرج معناه عن المعنى اللغوي.

### الصلة بين التفرق والوحدة:

التفرق ضد الوحدة، ويعد من أهم أسباب ضعف الأمة، وثمرة من ثمار الاختلاف المذموم بين المسلمين؛ لأن من الاختلاف ما لا يصل إلى حد الافتراق، وهو أكثر أنواع الخلاف بين الأمة.

---

(١) المخصص، ابن سيده ٣/ ٣٦٠.
(٢) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي ص ٩١٨.

## أنواع الوحدة في القرآن

### أولًا: وحدة الخلق:

لقد بين القرآن الكريم أن الناس جميعًا يربطهم رباط واحد، ويشتركون جميعًا بأمر وثيق، يجمعهم كلهم دون استثناء، إنهم جميعًا مخلوقون لخالق واحد، وأصلهم جميعًا أب واحد، قال تعالى مخاطبًا الناس جميعًا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١].

فهذا خطاب من رب الناس للناس جميعًا، مهما تباعدت أزمانهم وأمصارهم، ومهما اختلفت لغاتهم وألوانهم، يذكرهم ربهم بأنه المتوحد المتفرد بخلقهم جميعًا، معرفًا إياهم كيف كان مبتدأ إنشائهم، ومنبهًا لهم على أن جميعهم بنو رجلٍ واحدٍ وأمٍ واحدةٍ، وأن بعضهم من بعض، وأن حقَّ بعضهم على بعض واجبٌ، وجوب حق الأخ على أخيه، لاجتماعهم في النسب إلى أبٍ واحدٍ وأمٍ واحدةٍ، وعاطفًا بذلك بعضهم على بعض؛ ليتناصفوا ولا يتظالموا، وليبذل القوي من نفسه للضعيف حقه بالمعروف(١).

إن هذه الآية العظيمة التي افتتح الله بها سورة النساء، توحي بأن هذه البشرية التي صدرت من إرادة واحدة، تتصل في رحم واحدة، وتنبثق من أصل واحد، وتنتسب إلى نسب واحد؛ ولو تذكر الناس هذه الحقيقة، لتضاءلت في حسهم كل الفروق التي نشأت في حياتهم متأخرة؛ ففرقت بين أبناء النفس الواحدة، ومزقت وشائج الرحم الواحدة، وكلها ملابسات ما كان يجوز أن تطغى على مودة الرحم وحقها في الرعاية، وصلة النفس وحقها في المودة، وصلة الربوبية وحقها في التقوى(٢).

إن الناس جميعًا تجمعهم وحدة عقدية ووحدة الجنس؛ أما الوحدة العقدية فإن ربهم جميعًا واحد لا شريك له، هو الذي خلقهم، وهو الذي رزقهم، وهو الذي يميتهم، وهو الذي يحييهم، وهو الذي أوجد أبيضهم وأسودهم، وعربيهم وأعجميهم، وأما الوحدة الجنسية فالناس جميعًا على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم قد انحدروا عن أصل واحد وهو آدم عليه السلام(٣).

يقول سيد قطب: «إن استقرار هذه الحقيقة كان كفيلًا باستبعاد الصراع العنصري، الذي ذاقت منه البشرية ما ذاقت، وما تزال تتجرع منه حتى اللحظة الحاضرة؛ في الجاهلية الحديثة، التي تفرق بين

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٧/ ٥١٢.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ١/ ٥٧٤.

(٣) انظر: التفسير الوسيط، سيد طنطاوي ٣/ ٢٠.

الألوان، وتفرق بين العناصر، وتقيم كيانها على أساس هذه التفرقة، وتذكر النسبة إلى الجنس والقوم، وتنسى النسبة إلى الإنسانية الواحدة والربوبية الواحدة»[1].

وهناك آيات أخر في القرآن الكريم تؤكد على وحدة الناس جميعًا؛ وحدة الخالق الواحد، ووحدة التناسل من رجل واحد.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨].

وقال في موضع ثانٍ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٩].

وفي موضع ثالث قال سبحانه: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ [الزمر: ٦].

يمتن سبحانه في هذه الآيات على عباده بنعمة الخلق، ويذكرهم بأنهم جميعًا خلقوا من نفس واحدة.

لقد خلق الله عز وجل الناس من نفس واحدة، ثم جعل من نسلها الشعوب والقبائل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣].

وإن هذا التمايز بين الناس وتشعبهم إلى شعوب وقبائل مختلفة، لا ينبغي أن يكون مدعاة للتفاخر وتعالي بعض الناس على بعض، فلقد بين الله عز وجل الغاية من ذلك التمايز بقوله: ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ فالغاية هي التعارف لا التفاخر؛ التعارف الذي يؤدي إلى تأكيد معاني الوحدة والأخوة الجنسية، لا التفاخر الذي يؤدي إلى الفرقة والتشتت[2].

هذه المعاني العظيمة قد أكد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع إذ قال: (**يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى**)[3].

## ثانيًا: وحدة الملة والدين:

لقد أخبرنا الله عز وجل في كتابه العزيز أن الناس مجتمعون على ملة واحدة ودين واحد.

قال سبحانه: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾ [البقرة: ٢١٣].

واختلف المفسرون في معنى تلك الملة

(١) في ظلال القرآن ١/ ٥٧٤.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٦/ ٢٦١.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، رقم ٢٣٤٨٩. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٦/ ١٩٩، رقم ٢٧٠٠.

التي كان الناس عليها؛ فذهب بعضهم إلى القول بأن الناس كلهم كانوا على الدين الحق، كانوا على الهدى مجتمعين، وقال بعضهم: كانوا مجتمعين على الكفر والباطل[1].

ورجح شيخ المفسرين - الطبري - القول الأول، فقال: « إن دليل القرآن واضحٌ على أن الذين أخبر الله عنهم أنهم كانوا أمة واحدة، إنما كانوا أمة واحدة على الإيمان ودين الحق دون الكفر بالله والشرك به؛ وذلك إن الله عز وجل قال في سورة يونس: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ١٩].

فتوعد جل ذكره على الاختلاف لا على الاجتماع، ولا على كونهم أمة واحدة، ولو كان اجتماعهم قبل الاختلاف كان على الكفر ثم كان الاختلاف بعد ذلك، لم يكن إلا بانتقال بعضهم إلى الإيمان، ولو كان ذلك كذلك لكان الوعد أولى بحكمته جل ثناؤه في ذلك الحال من الوعيد لأنها حال إنابة بعضهم إلى طاعته، ومحالٌ أن يتوعد في حال التوبة والإنابة، ويترك ذلك في حال اجتماع الجميع على الكفر والشرك »[2].

ولقد بين لنا ربنا عز وجل في كتابه أيضًا أنه سبحانه قادر على جعل الناس متوحدين على ملة الإسلام، وشريعة الحق الواحدة؛ ولكنه سبحانه يريد أن يبتلى عباده، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [المائدة: ٤٨].

ومعنى الآية: لو شاء الله عز وجل أن يجعل الأمم جميعا أمة واحدة، تدين بدين واحد، وبشريعة واحدة لفعل؛ لأنه سبحانه لا يعجزه شيء؛ ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك؛ وإنما شاء أن يجعلكم أمما متعددة ليختبركم فيما آتاكم من شرائع مختلفة في بعض فروعها، ولكنها متحدة في جوهرها وأصولها؛ فيجازي من أطاعة بما يستحقه من ثواب، ويجازي من خالف أمره بما يستحقه من عذاب[3].

وفي ذات المعنى يقول جل وعلا: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٣].

« أي: ولو شاء الله عز وجل لوفقكم كلكم، فجعلكم على ملة واحدة، وهي الإسلام والإيمان، وألزمكم به، ولكنه سبحانه يضل من يشاء ممن علم منه إيثار الضلال، فلا يهديه عدلا منه، ويهدي من

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٤/ ٢٧٥، لباب التأويل، الخازن ١/ ٢٠٠.
(٢) جامع البيان ٤/ ٢٨٠.
(٣) انظر: التفسير الوسيط، سيد طنطاوي ٤/ ١٨٤.

يشاء ممن علم منه إيثار الحق، فيوفقه فضلا منه، وليسألنكم الله جميعًا يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا فيما أمركم به، ونهاكم عنه، وسيجازيكم على ذلك»[1].

وكذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٨- ١١٩].

يخبر سبحانه في هذه الآية أنه لو شاء لجعل الناس كلهم أمة واحدة على الدين الإسلامي، فإن مشيئته غير قاصرة، ولا يمتنع عليه شيء، ولكنه اقتضت حكمته، أن لا يزالوا مختلفين، مخالفين للصراط المستقيم، متبعين للسبل الموصلة إلى النار، إلا من رحم ربك فهداهم إلى العلم بالحق والعمل به، والاتفاق عليه، فهؤلاء سبقت لهم، سابقة السعادة، وتداركتهم العناية الربانية والتوفيق الإلهي[2].

وقوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي: اقتضت حكمته، أنه خلقهم، ليكون منهم السعداء والأشقياء، والمتفقون والمختلفون؛ ليتبين للعباد، عدله وحكمته.

قال القرطبي: « وإلى هذا أشار مالك رحمه الله فيما روى عنه أشهب؛ قال أشهب: سألت مالكا عن هذه الآية قال: خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير؛ أي خلق أهل الاختلاف للاختلاف، وأهل الرحمة للرحمة. وروي عن ابن عباس أيضًا قال: خلقهم فريقين، فريقا يرحمه وفريقا لا يرحمه »[3].

ومثل هذه الآية قول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٨].

ولما بين الله عز وجل أن الناس كانوا على ملة واحدة ودين واحد، وبين أيضًا أنه سبحانه قادر على جمع الناس كلهم على ملة الإسلام، مدح أمة التوحيد المجتمعة على الإيمان، المتوحدة على أساس العقيدة ودين ربها عز وجل، فقال: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وفي سورة المؤمنين: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

فهذه أمة الإسلام ملة واحدة، من عهد آدم عليه السلام إلى عهد محمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ دين الأنبياء واحد، وأتباع الرسل ملة واحدة، ومن سار على نهجهم

(١) التفسير الميسر، مجمع الملك فهد ص ٢٧٧.
(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٣٩٢.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٩/ ١١٥.

إلى قيام الساعة فهو من أمتهم [(١)].

والملاحظ: أن كلمة الوحدة مضافة إلى الأمة أي وحدة الأمة لم ترد في القرآن الكريم، ولكن ورد وصف الأمة بأنها أمة واحدة، فالتركيز في القرآن قد جاء على مفهوم الأمة التي توصف بأنها أمة واحدة، وليس على مفهوم الوحدة التي تضاف إلى الأمة، وهذا يعني أن الأمة الواحدة هي الأصل، أما مسألة توحيد الأمة ووحدتها فهي طارئة بعدما حل بالأمة ما حل [(٢)].

## الحث على الوحدة

### أولًا: الأمر بالوحدة:

الآيات التي تأمر بالوحدة وتحث عليها كثيرة في كتاب الله عز وجل، لا تحتاج إلى بذل جهد وإعمال فكر من أجل الوقوف عليها؛ فالقرآن الكريم قد جعل وحدة المسلمين وتآلفهم واجتماع كلمتهم من أصول الدين، وقواعده العظيمة، ولقد تنوعت أساليب القرآن الكريم في الدلالة على وجوب الوحدة؛ وذلك كما يلي:

**١. الأمر الصريح بالوحدة.**

لقد ورد الأمر بالوحدة صريحًا في كتاب الله عز وجل، كما في قول الله عز وجل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فهذه الآية الكريمة تأمر المسلمين بأن يكونوا جميعًا مستمسكين بكتاب الله وبدينه وبعهوده، ولا يتفرقوا، كما كان شأنهم في الجاهلية، بضرب بعضهم رقاب بعض.

قال الطبري: « يريد بذلك تعالى ذكره: وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر

(١) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري ٣/ ٤٤٠.

(٢) انظر: هموم الأمة الإسلامية، محمود حمدي زقزوق ص ٧١.

الله »[١].

وفي الآية استعارة تمثيلية حيث شبه الله عز وجل الحالة الحاصلة من تمسك المؤمنين بدينه وبكتابه وبعهوده وبوحدة كلمتهم، بالحالة الحاصلة من تمسك جماعة بحبل وثيق مأمون الانقطاع، ألقى إليهم من منقذ لهم من غرق أو سقوط أو نحوهما[٢].

وقد روى الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: « يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة؛ فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة، هو خير مما تستحبون في الفرقة»[٣].

وقد تعددت آراء المفسرين في معنى ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ الذي أمر الله المؤمنين بالاعتصام به، فقال بعضهم: كتاب الله، وقال بعضهم: دين الله، وقال بعضهم: أمر الله وطاعته، وقال بعضهم: الجماعة[٤].

قال القرطبي: « والمعنى كله متقارب متداخل؛ فإن الله تعالى يأمر بالألفة، وينهى عن الفرقة؛ فإن الفرقة هلكة، والجماعة نجاة»[٥].

ومن الآيات التي تأمر المسلمين بالوحدة والاعتصام والتكافل قول الله عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[المائدة: ٢].

فهذه الآية تأمر المسلمين بالتعاون على كل ما هو خير وبر وطاعة لله عز وجل، وتنهاهم عن التعاون على ارتكاب الآثام، والاعتداء على حدوده؛ فإن التعاون على الطاعات والخيرات يؤدي إلى السعادة، أما التعاون على ما يغضب الله عز وجل فيؤدي إلى الشقاء[٦].

وبتعاون المسلمين معًا، ومساعدة بعضهم لبعض، يصبح المجتمع المسلم جسدًا واحدًا، متماسكًا مترابطًا، قال القرطبي: « وهو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى؛ أي ليعن بعضكم بعضًا، وتحاثوا على ما أمر الله تعالى واعملوا به، وانتهوا عما نهى الله عنه وامتنعوا منه»[٧].

يقول السعدي: « يرشد القرآن الكريم المسلمين إلى إقامة جميع مصالحهم، وأنه إذا لم يكن حصولها من الجميع فليشتغل بكل مصلحة من مصالحهم من يقدر على القيام بها، وليوفر وقته عليها لتقوم مصالحهم، وتكون وجهتهم جميعًا واحدة، وهذه من القواعد الجليلة ومن السياسة

(١) جامع البيان ٧/ ٧٠.
(٢) انظر: التفسير الوسيط، سيد طنطاوي ٢/ ١٩٩.
(٣) جامع البيان ٧/ ٧٥.
(٤) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي ١/ ٤٣٣.
(٥) الجامع لأحكام القرآن ٤/ ١٥٩.
(٦) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي ٤/ ٣٢.
(٧) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٤٦.

الشرعية الحكيمة، فإن كثيرًا من المصالح العامة الكلية لا يمكن اشتغال الناس كلهم بها، ولا يمكن تفويتها، فالطريق إلى حصولها ما أرشد الله عباده إليه، قال تعالى في الجهاد والعلم اللذين هما من أعظم مصالح الدين: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٢].

فأمر أن يقوم بالجهاد طائفة كافية وبالعلم طائفة أخرى، وأن الطائفة القائمة بالجهاد تستدرك ما فاتها من العلم إذا رجعت [(١)].

وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

إلى غير ذلك من الآيات الدالات على هذا الأصل الجليل والقاعدة النافعة، وبقيام كل طائفة منهم بمصلحة من المصالح تقوم المصالح كلها، لأن كل فرد مأمور أن يراعي المصالح الكلية، ويكون سائرًا في جميع أعماله إليها، فلو وفق المسلمون لسلوك هذه الطريق لاستقامت أحوالهم وصلحت أمورهم وانجابت عنهم شرور كثيرة، فالله المستعان» [(٢)].

لقد أمر القرآن العظيم بأمور عظيمة، من شأنها أن توحد الأمة، وتزيدها ترابطًا وتماسكًا؛ بل ألفة ومحبة؛ لقد أمر ببر الوالدين، وأمر بصلة الأرحام، وأمر بالإحسان إلى أولي القربى واليتامى والمساكين، لقد أمر بحسن معاشرة الزوجة، وأمر بالإحسان إلى الجار والآيات في ذلك معلومة كثيرة، منها تلك الآية الجامعة من سورة النساء، إذ يقول ربنا عز وجل: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦].

يأمر الله عز وجل في هذه الآية بعبادته وحده لا شريك له، ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين – وكثيرا ما يقرن الله سبحانه بين عبادته والإحسان إلى الوالدين – ثم عطف على الإحسان إليهما الإحسان إلى القرابات من الرجال والنساء، ثم أوصى باليتامى؛

(١) والآية تحتمل معنى آخر: وهو أن الطائفة التي قد خرجت مع الرسول صلى الله عليه وسلم هم الذين شهدوا الوحي الذي نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في مدة الغزو، وعليهم أن يبلغوا ذلك إلى قومهم الذين لم يخرجوا للغزو إذا رجعوا إليهم.
انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/ ٣١٨.

(٢) القواعد الحسان، السعدي ص ١٢٩.

وذلك لأنهم فقدوا من يقوم بمصالحهم ومن ينفق عليهم، فأمر الله بالإحسان إليهم، ثم أوصى بالمساكين من ذوي الحاجات، الذين لا يجدون من يقوم بكفايتهم، فأمر الله سبحانه بمساعدتهم بما تتم به كفايتهم وتزول به ضرورتهم، ثم أوصى بالجار ذي القربى والجار الجنب، يعني: الجار الذي بينك وبينه قرابة، والجار الذي ليس بينك وبينه قرابة، وقيل: الجار الجنب يعني الرفيق في السفر، ثم أوصى بالصاحب بالجنب، قيل: يعني المرأة، وقيل: يعني: الضعيف، وقيل: هو جليسك في الحضر ورفيقك في السفر، ثم أوصى بابن السبيل، وهو الضيف، وقيل: هو الذي يمر عليك مجتازًا في السفر، وختم عز وجل تلك الوصايا العظيمة بالوصية بما ملكت اليمين، وهم الأرقاء؛ لأن الرقيق ضعيف الحيلة أسير في أيدي الناس[1]، ويأخذ حكمهم في زماننا العمال والخدم ونحوهم.

وقد جاءت السنة مؤكدة على أمر القرآن بالوحدة والاعتصام، وذلك في أحاديث كثيرة، يضيق المقام هنا بذكرها، من ذلك الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه قال: **(إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا: فيرضى لكم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال)**[2].

**٢. تقرير الأخوة بين المؤمنين جميعًا.**

لقد وصف القرآن الكريم المؤمنين بأعظم وصف يدل على وحدتهم واجتماعهم، لقد وصفهم بأنهم إخوة؛ فكما أن الإخوة في النسب تربطهم روابط قوية من المحبة والألفة وحرص كل منهم على مصلحة أخيه، فكذلك حال الأخوة بين المؤمنين.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

إن هذه الأخوة هي بمثابة عقد عقده الله بين المؤمنين؛ فأينما وجد المؤمن -في مشارق الأرض أو في مغاربها- فإنه أخ للمؤمنين، أخوةٌ توجب أن يحب له المؤمنون ما يحبون لأنفسهم، ويكرهون له ما يكرهون لأنفسهم[3].

قال ابن عاشور: «وجيء في الآية بصيغة القصر، المفيدة لحصر حالهم في حال

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٣٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات، ٣/ ١٣٤٠، رقم ١٧١٥.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٨٠٠.

**الإخوة؛ مبالغةً في تقرير هذا الحكم بين المسلمين، وأخبر عنهم بأنهم إخوة مجازًا على وجه التشبيه البليغ، زيادة في تقرير معنى الأخوة بينهم، حتى لا يحق أن يقرن بحرف التشبيه المشعر بضعف صفتهم عن حقيقة الأخوة، وهذه الآية فيها دلالة قوية على تقرر وجوب الأخوة بين المسلمين؛ لأن شأن (إنما) أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب، ولا يدفع صحته، أو لما ينزل منزلة ذلك؛ فلذلك كان قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ مفيد أن معنى الأخوة بينهم معلوم مقرر»[1].**

**إن في تقرير القرآن الكريم للأخوة بين المؤمنين أعظم دليل على حثه واهتمامه بوحدتهم وتماسكهم؛ حتى يكونوا جميعًا إخوانًا، وإن هذه الأخوة التي قررها القرآن الكريم هي أخوة مبنيةٌ على أساس متين؛ فالذي يربط المؤمنين ببعض هو رباط العقيدة والدين، وهذا أقوى من كل رباط يجمع الناس، حتى ولو كان رباط نسب أو رحم، فالمؤمنون بهذا الرباط كالجسد الواحد، كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[2].**

**ولذلك يكثر في القرآن العظيم إطلاق النفس وإرادة الأخ؛ تنبيهًا على أن رابطة الإسلام تجعل أخا المسلم كنفسه، كقوله تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾** [النور: ١٢].

**أي: بإخوانهم على أصح التفسيرين[3]، وقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾** [الحجرات: ١١].

**أي: لا يعب بعضكم بعضًا، وعبر بالنفس لأن المؤمنين جميعًا كنفس واحدة[4].**

**وقوله: ﴿لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾** [النساء: ٢٩].

**أي: لا يأكل أحدكم مال أخيه، إلى غير ذلك من الآيات. ولذلك ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب**

(١) التحرير والتنوير ٢٦/ ٢٤٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ٨/ ٢٠، رقم ٦٧٥١.

(٣) نقل الشوكاني عن الحسن رضي الله عنه: معنى بأنفسهم بأهل دينهم لأن المؤمنين كنفس واحدة، وقال النحاس: بأنفسهم أي بإخوانهم.
انظر: فتح القدير ٤/ ١٩.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٦/ ٣٢٧.

**لنفسه)**[١][٢].

ومن الآيات الدالة على أن الدين والإيمان والعقيدة الخالصة هي الرابطة الحقيقية التي توحد المسلمين جميعًا، وأن تلك الرابطة تتلاشى معها جميع الروابط النسبية والعصبية والقبلية: قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[المجادلة: ٢٢].

فأخوة العقيدة والدين هي الكفيلة بتوحيد أمة الإسلام قاطبة، ولا يجوز لمسلم أن يقدم كافرًا ولو كان ذا قرابة ونسب على مسلم ولو كان الأخير أعجميًا بعيدًا.

فالمؤمنون إخوة متحابون، وإن مناط هذه الأخوة وأساسها إنما هو رابط الإسلام وعقيدته الصحيحة وهي من أهم أسباب وحدة الصف وقوة البنيان بين أفراد الأمة المسلمة وإن التحابب بين المسلمين والحرص على روابط الأخوة المستمدة من الإيمان والعقيدة سر قـوة الأمة ومفتاح نجاحها[٣].

وسنة النبي صلى الله عليه وسلم عامرةٌ بالأحاديث المؤكدة على ما أقره القرآن الكريم؛ من وجوب الأخوة بين المسلمين عامة، وبيان ما على المسلمين من حقوق لإخوانهم، مما يضمن الحفاظ على تلك الأخوة وتلك المودة، وصيانتها من كل ما يخالف معانيها العظيمة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ها هنا) ويشير إلى صدره ثلاث مرات (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه)**[٤].

وقد قال صلى الله عليه وسلم ممثلًا حال الإخوة من المؤمنين بأعظم مثال: **(المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا)**[٥].

وشبك صلى الله عليه وسلم بين أصابعه، وليس المقام هنا مقام سرد لتلك الأحاديث

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم ١٣، ١/ ١٢.
(٢) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي ٣/ ٤٣.
(٣) انظر: تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، علي الصلابي، ص ٣١٨.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ح٦٧٠٦، ٨/ ١٠.
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ح٦٧٥٠، ٨/ ٢٠.

العظيمة فنكتفي بما أشرنا إليه.

ولا يخفى على كل مطلع على سيرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ما قام به صلى الله عليه وسلم من المؤاخاة بين أصحابه الكرام؛ حيث آخى بين المهاجرين أنفسهم، وآخى بين الأنصار أنفسهم، وآخى بين المهاجرين والأنصار جميعًا، وكانت أروع صور المؤاخاة التي عرفها تاريخ البشرية، هذا الإخاء الذي ذابت فيه عصبيات الجاهلية، وسقطت فوارق النسب واللون والوطن، فلا يكون أساس الولاء والبراء إلا الإسلام، وقد امتزجت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة وإسداء الخير في هذه الأخوة، وملأت المجتمع الجديد بأروع الأمثال (١)، حتى قال الواحد منهم لأخيه: إني أكثر الأنصار مالًا؛ فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها (٢).

(١) انظر: الروض الأنف، السهيلي ٢/ ٣٥٠.

(٢) الحديث: عن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال: لما قدموا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقال لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالا، فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، رقم ٣٧٨٠، ٥/ ٣١.

### ٣. الأمر بالإصلاح بين المؤمنين عند حدوث الخلاف بينهم.

ومن أساليب القرآن الكريم في الحث على وحدة المسلمين وتجمعهم، أنه أمر بالمبادرة إلى الإصلاح بين المؤمنين إذا ما نزغ الشيطان بين طائفتين منهم فحصل بينهم نزاع أو اقتتال.

قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

ففي هذه الآية نهيٌ من الله عز وجل للمؤمنين عن أن يبغي بعضهم على بعض، ويقاتل بعضهم بعضًا، فإن اقتتلت طائفتان منهم، فإن على غيرهم من المؤمنين أن يتلافوا هذا الشر الكبير، بالإصلاح بينهم، والتوسط بذلك على أكمل وجه يقع به الصلح، ويسلكوا الطريق الموصلة إلى ذلك، فإن حدث الصلح فبها ونعمت، وإن ﴿بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: ترجع إلى ما حد الله ورسوله، من فعل الخير وترك الشر، الذي من أعظمه الاقتتال، وقوله: ﴿فَإِن فَآءَتْ

ولا يخفى ما في مثل هذه المواقف العظيمة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بيان لأهمية الإيثار والعفة في تحقيق معاني الوحدة الحقيقية.

﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ هذا أمر بالصلح، وبالعدل في الصلح، فإن الصلح قد يوجد، ولكن لا يكون بالعدل، بل بالظلم والحيف على أحد الخصمين، فهذا ليس هو الصلح المأمور به[1].

وفي الآية لطائف عظيمة تدل على أن الاقتتال بين المؤمنين شاذ عن الأصل المأمور به من الوحدة والأخوة والتآلف؛ حيث عبرت الآية عن حدوث ذلك الاقتتال بأداة الشرط (إن) التي تفيد ندرة الوقوع وقلته، وفي ذلك إشارة إلى أنه ينبغي أن لا يقع الاقتتال إلا نادرًا، ثم إن الآية الكريمة استعملت لفظة: ﴿طَائِفَتَانِ﴾ ولم تستعمل لفظة: (فرقتان) وذلك للدلالة أيضًا على التقليل؛ لأن الطائفة دون الفرقة، ثم إن الآية قالت: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولم تقل: (منكم) مع أن الخطاب للمؤمنين تنبيهًا على قبح ذلك، وزجرًا لهم عنه، كما يقول السيد لعبده: إن رأيت أحدًا من غلماني يفعل كذا فامنعه، فيصير بذلك مانعًا للمخاطب عن ذلك الفعل بالطريق الحسن، كأنه يقول أنت حاشاك أن تفعل ذلك فإن فعل غيرك فامنعه.

ولا يخفى أيضًا تعبير الآية بالفعل الماضي ﴿اقْتَتَلُوا﴾ بدل الفعل المضارع (يقتتلوا) حتى لا يدل دوام ذلك الاقتتال وكثرته، وكذلك التعبير بقوله: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى﴾ في غاية الحسن لأنه يفيد الندرة وقلة الوقوع[2].

ومن اللطائف في الآية أيضًا أن الله تعالى خاطب المؤمنين فيها بقوله: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ فلا ينبغي لهم أن يسمحوا لغيرهم من الكفار والمنافقين أن يتدخلوا في شؤونهم؛ فإنهم أي الكفار والمنافقين لا يزيدونهم إلا خبالًا وشقاقًا كما نرى في واقع المسلمين اليوم!!

ومن الآيات الكريمات التي تأمر بإصلاح ذات البين[3]: قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

حيث نزلت هذه الآية عندما وقع خلاف بين المسلمين في غنائم بدر، وفي قسمتها، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم؟ ولمن الحكم في قسمتها؟ للمهاجرين أم للأنصار أم لهم جميعًا؟

فكان الجواب من الله عز وجل: قل لهم هي لرسول الله، وهو الحاكم فيها خاصة، يحكم ما يشاء، ليس لأحد غيره فيها حكم،

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٨٠٠.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢٨/ ١٠٩.

(٣) ذات البين: ما بين القوم من القرابة و الصلة والمودة، أو ما بينهم من العداوة والبغضاء. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١/ ٨٠.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في الاختلاف والتخاصم، وكونوا متآخين في الله، ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ يعني: ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق، والبين الوصل أي: فاتقوا الله، وكونوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم[1].

قال ابن كثير: «اتقوا الله في أموركم، وأصلحوا فيما بينكم، ولا تظالموا، ولا تخاصموا، ولا تشاجروا؛ فما آتاكم الله من الهدى والعلم خير مما تختصمون بسببه، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: في قسمه بينكم على ما أراده الله، فإنه إنما يقسمه كما أمره الله من العدل والإنصاف، وقال ابن عباس: هذا تحريج من الله ورسوله أن يتقوا ويصلحوا ذات بينهم، وكذا قال مجاهد»[2].

ولقد رغب القرآن الكريم في الإصلاح بين المسلمين، فقد قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

يقول أبو بكر الجزائري مفسرًا لهذه الآية: «يخبر تعالى أنه لا خير في كثير من أولئك المتناجين، ولا في نجواهم؛ لنفاقهم وسوء

(١) انظر: مدارك التنزيل، النسفي ٢/ ١٢٦.
(٢) تفسير القرآن العظيم ٧/ ١٣.

طواياهم، اللهم إلا في نجوى أمر أصحابها بصدقة تعطى لمحتاج إليها من المسلمين، أو معروف استحبه الشارع أو أوجبه من البر والإحسان، أو إصلاح بين الناس للإبقاء على الألفة والمودة بين المسلمين، ثم أخبر تعالى أن من يفعل ذلك المذكور من الصدقة والمعروف والإصلاح بين الناس طلبًا لمرضاة الله تعالى فسوف يثيبه بأحسن الثواب؛ ألا وهو الجنة، دار السلام؛ إذ لا أجر أعظم من أجر يكون الجنة»[3].

وقد أكدت السنة المشرفة هذا المعنى العظيم، من الحث على إصلاح ذات البين، والترغيب فيه، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة**)، قالوا: بلى. قال: (**إصلاح ذات البين وفساد ذات البين الحالقة**)[4]، وغير ذلك من الأحاديث.

إن هذه الآيات الكريمات التي تأمر وتحث على الإصلاح بين المسلمين، لهي آيات تدل على حرص هذا الكتاب العزيز على وحدة صف المؤمنين، وعدم السماح

(٣) أيسر التفاسير ١/ ٥٤١.
(٤) أخرجه أحمد في مسنده، رقم ٢٧٥٤٨، ٦/ ٤٤٤وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين، رقم ٤٩٢١، ٤/ ٢٣٢.
وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، رقم ٢٨١٤.

لأي أمر - مهما كان - أن يفرق كلمتهم، أو يشتت شملهم، فالمؤمنون إخوة، وأمة الإسلام أمة واحدة، لها دين واحد، وتعبد ربًا واحدًا.

### ثانيًا: النهي عن الفرقة والاختلاف:

كما أن القرآن الكريم أمر بالوحدة وحث عليها، فإنه في مقابلة ذلك نهى عن الفرقة والاختلاف، وحذر منهما تحذيرًا عظيمًا، وذلك في آيات عدة من الكتاب العزيز، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

حيث « أمر الله عز وجل عباده المؤمنين في هذه الآية بما يعينهم على التقوى، وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله، وكون دعوى المؤمنين واحدة، مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم، وتصلح دنياهم، وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم، ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام وفي هذه الآية ما يدل على أن الله يحب من عباده أن يذكروا نعمته بقلوبهم وألسنتهم؛ ليزدادوا شكرا له ومحبة، وليزيدهم من فضله وإحسانه، وإن من أعظم ما يذكر من نعمه نعمة الهداية إلى الإسلام، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم واجتماع كلمة المسلمين وعدم تفرقها»[١].

ولقد قال الله عز وجل بعد هذه الآية بآية واحدة: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

« نهى الله سبحانه في هذه الآية عباده المؤمنين أن يكونوا كأهل الكتاب الذين وقعت بينهم العداوة والبغضاء؛ فتفرقوا شيعًا وأحزابًا، واختلفوا في أصول دينهم، من بعد أن اتضح لهم الحق، وأولئك مستحقون لعذاب عظيم موجع »[٢].

وأخرج الطبري عن ابن عباس رضي الله عنه في هذه الآية قال: « في هذا ونحوه من القرآن أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة؛ فنهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله »[٣].

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ١٤١.
(٢) التفسير الميسر، مجمع الملك فهد ص٤٠٤.
(٣) جامع البيان ٧/ ٩٣.

يقول الدكتور وهبة الزحيلي معلقًا على الآية السابقة: «إن التفرق في الدين أمر حرام ومنكر عظيم، مؤذن بتدمير المصلحة العامة، والقضاء على وجود الدولة المسلمة والأمة المؤمنة، وقد عد القرآن الكريم المتفرقين في الدين من الكفار والمشركين، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١ - ٣٢].

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

ومن ترك الاعتصام بالقرآن والإسلام، ورد الأمر المتنازع فيه إلى غير الكتاب والسنة كان أيضًا من الكافرين»[(١)].

ونظير هذه الآيات التي تنهى عن الفرقة والاختلاف قول الله عز وجل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ففي هذه الآية أمر من الله عز وجل لعباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، ونهي عن التنازع الذي يؤدي إلى الافتراق واختلاف القلوب، ومن ثم الضعف والجبن والفشل وذهاب الريح والقوة[(٢)].

يقول ابن عاشور: «والنهي عن التنازع أعم من الأمر بالطاعة لولاة الأمور؛ لأنهم إذا نهوا عن التنازع بينهم، فالتنازع مع ولي الأمر أولى بالنهي؛ ولما كان التنازع من شأنه أن ينشأ عن اختلاف الآراء - وهو أمر مرتكز في الفطرة - بسط القرآن القول فيه ببيان سيىء آثاره، فجاء بالتفريع بالفاء في قوله: ﴿فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ فحذرهم أمرين معلومًا سوء مغبتهما: وهما الفشل وذهاب الريح وإنما كان التنازع مفضيا إلى الفشل؛ لأنه يثير التغاضب ويزيل التعاون بين القوم، ويحدث فيهم أن يتربص بعضهم ببعض الدوائر، فيحدث في نفوسهم الاشتغال باتقاء بعضهم بعضًا، فيصرف الأمة عن التوجه إلى ما فيه نفع جميعهم، ويصرف الجيش عن الإقدام على أعدائهم، فيتمكن منهم العدو؛ وذلك لأن التنازع يفضي إلى التفرق، وهو يوهن أمر الأمة»[(٣)].

ومن الآيات التي تحث على الاجتماع، وتذم الفرقة قول الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[الشورى: ١٣].

قال ابن كثير: «أوصى الله تعالى

(١) التفسير المنير ٤/ ٣٦.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١٣/ ٥٧٥.

(٣) التحرير والتنوير ١٠/ ٣٠.

جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالائتلاف والجماعة ونهاهم عن الافتراق والاختلاف»[(١)].

لقد أخبرنا القرآن الكريم عن جماعة من المنافقين أرادوا تمزيق وحدة المسلمين، وتفريق صفهم، وبنوا لذلك مسجدًا ضرارًا؛ ففضحهم الله عز وجل، وأبدى عورهم للمسلمين، وقال فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧].

إن الإسلام يحارب كل طريق تؤدي إلى تمزيق وحدة المسلمين، وإن كانت بناء مسجدٍ، وهذا المسجد لم يرد ببنائه الخير؛ وإنما أريد به أن يكون مقرًا للمنافقين؛ يدبرون فيه مؤامراتهم ضد الإسلام والمسلمين، ويشقون به عصا الجماعة، فنهى الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقوم في هذا المسجد أبدًا، ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾[التوبة: ١٠٨].

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهدمه وتحريقه[(٢)].

وللتنفير من التنازع والافتراق واقتتال المسلمين بعضهم مع بعض سمى الله عز وجل تشاجر المسلمين وقتال بعضهم بعضًا كفرًا.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

لقد ذكر المفسرون أن الآية الكريمة نزلت حينما حاول أحد اليهود الخبثاء الإيقاع بين المسلمين – بتذكيرهم بحروبهم أيام الجاهلية – حتى كادوا أن يقتتلوا[(٣)]؛ فنزلت هذه الآية تحذر المسلمين من طاعة المفسدين من أهل الكتاب الذين هدفهم إيقاع العدواة بين صفوف المسلمين.

والسنة النبوية المشرفة مؤازرة للقرآن الكريم في التحذير من الفرقة والشذوذ عن الجماعة، والأحاديث في هذا الباب أكثر من

(١) تفسير القرآن العظيم ١٢/ ٢٦٢.
(٢) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام ٢/ ٥٢٩.

(٣) روى الطبري بسنده عن مجاهد في هذه الآية، قال: كان جماع قبائل الأنصار بطنين: الأوس والخزرج، وكان بينهما في الجاهلية حربٌ ودماء وشنآنٌ، حتى من الله عليهم بالإسلام وبالنبي صلى الله عليه وسلم، فأطفأ الله الحرب التي كانت بينهم، وألف بينهم بالإسلام. قال: فبينا رجل من الأوس ورجلٌ من الخزرج قاعدان يتحدثان، ومعهما يهودي جالسٌ، فلم يزل يذكرهما أيامهما والعداوة التي كانت بينهم، حتى استبا ثم اقتتلا. قال: فنادى هذا قومه وهذا قومه، فخرجوا بالسلاح، وصف بعضهم لبعض. قال: ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاهدٌ يومئذ بالمدينة، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يزل يمشي بينهم، حتى رجعوا ووضعوا السلاح، فأنزل الله عز وجل الآية »جامع البيان ٦/ ٥٩.

أن يحصيها بحثنا هذا.

ولكن نشير إلى بعضها: فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا، فقال: **(أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة؛ فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن)** [1].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية)** [2].

ولقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم اقتتال المسلمين كفرًا، حيث قال في حجة الوداع: **(لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض)** [3].

وقال: **(سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)** [4].

إن الناظر في أحكام الإسلام وتشريعاته يجدها حاثة على الوحدة، محذرة للفرقة، وذامة لها، فالإسلام حرم أن يهجر المسلم أخاه المسلم، وأمر بإفشاء السلام من أجل إشاعة المحبة، وأمر بصلاة الجماعة، ونهى أن يسافر الرجل وحده، وأن يبيت وحده، ولو ذهبنا نستقصي شواهد الشريعة التي تفيد وجوب اجتماع كلمة المسلمين، وحرمة الفرقة بينهم لطال بنا المقام.

والخلاصة: أن العمل على تحقيق وحدة المسلمين مما عظمت وصية الله به في كتابه، ووصية النبي صلى الله عليه وسلم في سنته، ومما عظم ذم تركه، ومما عظمت حاجة المسلمين اليوم إليه، في وقت قد تمزقت فيه دولة الإسلام، وطغت الحزبية والطائفية والمذهبية والوطنية

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، رقم ٢١٦٥، ٤/ ٣٨.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.
وصححه الألباني في صحيح الجامع، ١/ ٤٩٩، رقم ٢٥٤٦.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في التشديد في ترك الجماعة، رقم ٥٤٧، ١/ ٢١٤.
وحسنه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح، رقم ١٠٦٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، كتاب الإيمان، باب لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض، رقم ٢٣٤، ١/ ٥٨.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، رقم ٢٣٠، ١/ ٥٧.

الضيقة على بلاد المسلمين، فما أشد حاجة المسلمين إلى العمل بما فرض الله عليهم، وما أشد حاجة المسلمين إلى وحدة أمتهم، واجتماعهم على كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم.

## الوحدة والعبادات

العبادات في الإسلام تمثل جزءًا عظيمًا من الدين؛ بل هي أساس الدين وجوهره، وهي ظاهر الدين وباطنه، وهي الصلة بين العبد وربه، وإن الأصل في العبادات أنها تؤدى امتثالًا لأمر الله عز وجل، وأداءً لحقه سبحانه على عباده، وشكرًا على نعمائه، وليس من اللازم أن يكون لهذه العبادات ثمرات ومنافع في حياة الإنسان المادية، وليس من الضروري أن يكون لها حكمة يدركها عقله المحدود؛ إذ الأصل فيها أنها ابتلاء لعبودية الإنسان لربه، فلا معنى لأن يدرك السر في كل تفصيلاتها؛ فالعبد عبد والرب رب [٢].

ومن تأمل في العبادات التي شرعها الإسلام يجد أن كثيرًا من الحكم تظهر في أدائها، وكثيرًا من الثمرات تبرز حينما يقيمها المسلمون على مراد ربهم عز وجل، ومن عظيم هذه الثمرات المترتبة على العبادات توحيد أمة الإسلام، وبناء مجتمع مسلم

(١) العبادات جمع عبادة وهي لغة من الخضوع والذل.
انظر: تهذيب اللغة، الأزهري ٢/ ١٣٨.
واصطلاحًا: اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.
انظر: العبودية، ابن تيمية، ص٤٤.

(٢) انظر: العبادة في الإسلام، القرضاوي ص ٢١٧.

مترابط متماسك؛ فإن العبادات إذا فهمت فهمًا صحيحًا، وطبقت تطبيقًا دقيقًا، أعطت مجتمعًا قويًا متينًا كالبنيان المرصوص، يسعى بذمته أدناه، ويكون يدًا على من سواه، يسوده العدل والمساواة والإحسان والبر والرحمة والتعاون والإيثار.

وهذه الثمرات نلمسها في جميع العبادات التي شرعها الإسلام، فأصل العبادات توحيد الله عز وجل، والأمة الموحدة لربها لا بد أن تكون أمة واحدة؛ فهي تعبد ربًا واحدًا، ولها شرعة واحدة، وأركان دينها واحدة.

ثم إن جميع العبادات تثمر وحدة المسلمين، من صلاة وزكاة وصيام وحج ودعاء، فليس من الإسلام أن يترهب المسلم وينقطع عن مجتمعه وأمته بحجة العبادة؛ ومن فهم أن العبادة في الإسلام تعني عزلة وانقطاعًا ففهمه خاطئ، صحيح أن في الإسلام بعض العبادات تحتاج إلى اعتزال؛ ولكن ليس كل العبادات كذلك، فغالب العبادات في الإسلام يؤديها المسلم مع إخوانه المسلمين، ويظهر من خلالها وحدة الأمة واجتماعها، وسنعرض في هذا المبحث - بإذن الله - لبعض هذه العبادات وأثرها على وحدة المسلمين.

## أولًا: الصلاة وأثرها على وحدة المسلمين:

الصلاة هي الفريضة الأولى بعد الإيمان بالله ورسوله، وهي عماد الدين، وهي ثاني أركان الإسلام، ولقد ورد الأمر من الله عز وجل لعباده المؤمنين بإقامة الصلاة، وذلك في آيات كثيرة من الكتاب العزيز، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١١٠].

وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١].

وأثنى سبحانه على الذين يقيمون الصلاة في غير موضع: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٦٢].

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ

بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢].

ولقد أمر الله المؤمنين بالمحافظة على الصلوات فقال: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وغير ذلك كثير من الآيات التي تأمر بالصلاة، وتحث عليها، وفي ذلك بيان لعظيم منزلة الصلاة في الإسلام.

والصلاة لا يقتصر دورها على أجر يثاب عليه المؤمن، وعذاب ينجو منه، وإنما هي أيضًا تجميع رباني جميل للمسلمين جميعًا، على درجة واحدة من المساواة؛ فالحاكم والمحكوم، والرئيس والمرؤوس، وأصحاب الثروة والقوة، والنفوذ والسلطان، والذين ليس لهم من ذلك شيء، كل هؤلاء متساوون في الوقوف بين يدي الله والإقبال عليه، لا فضل لأحد منهم على أحد، إلا بمقدار ما في قلبه من تقوى، وما تثمره هذه التقوى من خيرات، وما تحجز عنه من موبقات (١).

إن الإسلام لم يكتف من المسلم أن يؤدي الصلاة وحده في عزلة عن المجتمع الذي يحيا فيه؛ ولكنه دعاه دعوة قوية إلى أدائها في جماعة وبخاصة في المسجد، ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

والمسجد مكان مشاع عام يتساوى فيه الناس جميعًا؛ الحر منهم والعبد، والحاكم والمحكوم، والغني والفقير، في صورة عظيمة من صور وحدة المسلمين وتآلفهم.

وإذا حضر المؤمن الجماعة، عرف إخوانه وعرفوه، فلو غاب عنهم سألوا عنه؛ فإن كان غائبًا دعوا له، وإن كان مريضًا عادوه؛ فأثيبوا وأجروا، وجبروا خاطره، وأدخلوا السرور عليه، وإن كان حاضرًا زاروه، فتوطدت أواصر الأخوة، وتأكدت أسباب التضامن والمحبة (٢).

يتوجه المسلمون في صلاة الجماعة إلى قبلة واحدة، يقصدون ربًا واحدًا، يقتدون بإمام واحد، يكبرون معًا، ويتلون كتابًا واحدًا، ويدعون بدعاء واحد بصيغة الجمع قائلين: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧].

ويركعون ويسجدون معًا، ويسلمون منتهين من صلاتهم معًا، ولقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم أمته على المحافظة على الجماعة في الصلوات، وجعل الإسلام أجر الصلاة في الجماعة أضعاف صلاة

(١) انظر: العبادات في الإسلام وأثرها في تضامن المسلمين، علي منصور ص١١٧.

(٢) انظر: المصدر السابق ص١٢٤.

المنفرد؛ بل إن الخطوات إلى الجماعات مأجورة مباركة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه بضعًا وعشرين درجة؛ وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة، لا يريد إلا الصلاة، فلم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة، حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه، والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه يقولون: اللهم ارحمه، اللهم اغفر له، اللهم تب عليه، ما لم يؤذ فيه ما لم يحدث فيه)[1].

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الاهتمام - في صلاة الجماعة - بتسوية الصفوف، كثير الترغيب في إقامتها ووصلها، وسد خللها، شديد الإنكار على الإخلال بها والتفريط فيها، ذلك لأن فوائد الجماعة لا تتحقق ولا تكتمل إلا بالمحافظة عليها، وقيام المسلمين فيها كالبنيان المرصوص، وفي ذلك تهيئة لهم لفريضة الجهاد وبيان لأهمية رص الصف المسلم وعدم تشرذمه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤][2].

لقد كانت هذه الجماعة عاملًا كبيرًا من عوامل وحدة المسلمين في العبادات، كما كانت سببًا عظيمًا في تضامنهم، وجمع كلمتهم، وبلغ من اهتمام الإسلام بالجماعة أنه رغب في إقامتها، والحرص عليها حتى في أوقات المحن والشدائد، حين يلقى المسلمون عدوهم، ويواجهون خصومهم، لأن الصلاة في ذاتها سبب المعونة الإلهية، ولأن في إقامتها مع الجماعة مزيدا من العون والعطاء، تتضاعف بركاتها، وتكثر خيراتها[3].

قال سبحانه: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾[النساء: ١٠٢].

وهذه الصلاة هي التي تسمى صلاة الخوف.

لقد شرع الله عز وجل صلاة الجمعة، واختصها بشروط وآداب تزيد في جلالها، وترفع من شأنها، وتورث مزيدًا من الاهتمام بها.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة، رقم ١٥٣٨، ٢/ ١٢٨.

(٢) انظر: العبادة في الإسلام، القرضاوي ص ٢٣٦.

(٣) انظر: تفسير الشعراوي ٥/ ٢٥٩١.

﴿لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

فصلاة الجمعة هي الصلاة الجامعة، التي لا تصح إلا جماعة، وهي صلاة أسبوعية، يتحتم أن يتجمع فيها المسلمون، يلتقي المسلم فيها مع إخوانه، يستمع إلى أخبارهم، ويتفقد أحوالهم، ويستمع معهم إلى خطبة - من إمامهم -تذكرهم بالله عز وجل، وهي عبادة تنظيمية على طريقة الإسلام[(١)].

ثم هناك أيضًا صلاة فيها اجتماع أكبر للمسلمين يتكرر في العام مرتين، إنها صلاة العيد، تلك الصلاة العظيمة التي يخرج إليها أهل البلد جميعًا في أبهى مظاهر الوحدة، وفي أجمل صور الأخوة، جاء في الحديث عن أم عطية قالت: (**أمرنا أن نخرج الحيض يوم العيدين، وذوات الخدور؛ فيشهدن جماعة المسلمين ودعوتهم، ويعتزل الحيض عن مصلاهن، قالت امرأة: يا رسول الله، إحدانا ليس لها جلباب، قال: (لتلبسها صاحبتها من جلبابها)**)[(٢)].

من خلال ذلك نعم أهمية إقامة الصلوات في توحيد المسلمين، وتنمية الألفة والمحبة في قلوبهم، فالمصلي يلتقي بإخوانه كل يوم خمس مرات، يدخل معهم المسجد، ويضع كتفه بجنب كتف أخيه، ويلصق قدمه بقدمه، بين يدي ربهم عز وجل، في أروع صور اللحمة والمحبة.

## ثانيًا: الزكاة وأثرها على وحدة المسلمين:

الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، وقد أمر الله عز وجل بها في كتابه في مواضع كثيرة، وقرن سبحانه الأمر بإيتائها مع الأمر بإقامة الصلاة في آيات كثيرة من الذكر الحكيم، من ذلك قوله عز وجل: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١١٠].

وقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وقوله: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

ولقد مدح الله سبحانه مؤدي الزكاة: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٢-٣].

وذم مانعيها: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ٦/ ٣٥٦٩.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب وجوب الصلاة في الثياب، رقم ٣٥١، ١/ ٨٠.

﴿لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت: ٦-٧].

وليس المجال هنا للحديث عن تفاصيل تلك العبادة المالية العظيمة؛ ولكن الذي يعنينا هنا بيان ما للزكاة من أثر عظيم على وحدة المسلمين وتكافلهم ونشر المودة والمحبة بينهم.

إن للزكاة أثرها العظيم في تحقيق وحدة المسلمين وتكافلهم، إذ إن الزكاة مالٌ يخرجه المسلم الغني من ماله، ويعود به على إخوانه الفقراء، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن: (**فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة؛ تؤخذ من أغنيائهم، فترد في فقرائهم**) (١).

ويظهر أثر الزكاة في تحقيق وحدة المسلمين وتآلفهم وتكافلهم - سواء كان ذلك من الناحية المعنوية أم من الناحية المادية - من عدة وجوه:

١. إن دفع الزكاة لمستحقيها، سبب لتأليف القلوب، وتأنيس النفوس، وإشاعة جوٍ من التراحم والتواصل بين المؤمنين، وتأكيد الأخوة والمحبة بينهم.

وليس شيء أجلب لمحبة الناس، وكسب مودتهم من الإحسان إليهم، ومد يد العون لهم، والسعي في مصالحهم، والتخفيف من آلامهم.

٢. إن الزكاة سبب لتنمية الروح الاجتماعية بين أفراد المجتمع. حيث يشعر دافع الزكاة بعضويته الكاملة في الجماعة، وتفاعله معها، ومشاركته في تحقيق مصالحها، وحل مشاكلها، والنهوض بها.

فتنمو شخصيته، وتزكو نفسه، وينشرح صدره، ويرتفع كيانه المعنوي، ويشعر بسعادة غامرة وهو يواسي إخوانه، ويقوم بواجبه تجاه مجتمعه.

كما يشعر آخذ الزكاة، بقيمته وقدره، وأنه ليس شيئًا ضائعًا، ولا كمًا مهملًا، وإنما هو في مجتمع كريم يعنى به ويرعاه، ويأخذ بيده، ويعينه على نوائب الدهر؛ فيحمله ذلك على محبة مجتمعه، والتفاعل معه، ويبقى قلبه سليمًا، خاليًا من الحقد والحسد، مقدرًا لإخوانه الأغنياء، معترفًا بفضلهم وبذلهم، داعيًا لهم بالبركة والتوفيق وسعة الرزق.

فالزكاة تستل سخائم الفقراء، وتزكي نفوسهم من الضغينة والبغضاء، والحسد لأهل المال والثراء؛ بل تجعل الفقير يدعو لهم بالبركة والزيادة والنماء، وبهذا يتحول المجتمع إلى أسرة واحدة، تجللها المحبة والوفاء، ويسودها التعاون والإخاء.

٣. إن الزكاة سبب لإشاعة الأمن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم ١٣٠، ١/ ٣٧.

والطمأنينة؛ فهي أمان للآخذ، والمعطي، والمجتمع بعامة.

أما الآخذ، فإن له في أموال الزكاة مايغنيه، ويجعله آمنًا مطمئنًا، شجاعًا عزيزًا، يواجه المستقبل بنفس راضية، وعزيمة ثابتة، وأما المعطي فإنه مطمئن إلى مستقبله، واثق من عون الله له، وحفظه لماله، ووقايته من الآفات، وأنه إن قدر الله غير ذلك، وتغيرت عليه الأحوال، وأصبح فقيرًا بعد الغنى، فإن له في مال إخوانه ما هو كفيل بجبر كسره، وسد حاجته، فيشعر أن قوة إخوانه قوة له إذا ضعف، وغناهم مددٌ له إذا أعسر.

وأما المجتمع، فإن الزكاة سبب لتماسكه وتآلفه، وتضامنه وتكافله، ووقايته من رياح التفكك والتشرذم، وأعاصير الجريمة والظلم.

٤. وأما تحقيق الزكاة للتكافل المادي، فهو أظهر من أن يذكر، وهو المقصود الأصلي من شرعيتها، فإن الله عز وجل إنما شرع الزكاة مواساةً للفقراء والمحتاجين، وقيامًا بمصالح المسلمين [(١)].

وبهذا تكون الزكاة أول تشريع منظم لتحقيق التكافل المادي، أو ما يسمى بالضمان الاجتماعي، الذي لا يعتمد على التبرعات الفردية الوقتية؛ بل يقوم على مساعدات حكومية دورية منتظمة، غايتها تحقيق الكفاية لكل محتاج: الكفاية في المطعم والملبس والمسكن، وسائر الحاجات، بما يكفل له ولعائلته مستوى معيشيًا ملائمًا من غير إسراف ولا تقتير [(٢)].

ولو أن أهل الأموال جميعهم أخرجوا زكاة أموالهم، وصرفوها لمستحقيها، لما بقي في المسلمين فقير. وما حاجة الفقراء إلا بسبب منع الأغنياء، فما احتاج فقير إلا بما منع غني، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: « إن الله عز وجل فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم، فإن جاعوا وعروا وجهدوا، فبمنع الأغنياء، وحقٌ على الله عز وجل أن يحاسبهم يوم القيامة، ويعذبهم عليه » [(٣)].

ويقول محمد رشيد رضا: «ولو أقام المسلمون هذا الركن من دينهم لما وجد فيهم - بعد أن كثرهم الله عز وجل، ووسع عليهم في الرزق - فقير مدقع، ولا ذو غرم مفجع؛ ولكن أكثرهم تركوا هذه الفريضة، فجنوا على دينهم وأمتهم، فصاروا أسوأ من جميع الأمم حالًا في مصالحهم المالية والسياسية» [(٤)].

(١) ذكر الدكتور وهبة الزحيلي ما يقارب عشرين فائدة من فوائد الزكاة على المعطي والآخذ، انظر: التفسير المنير ١٠/ ٢٧٨-٢٨٠.

(٢) انظر: مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، يوسف القرضاوي ص١٠٥.

(٣) انظر: السنن الكبرى، البيهقي ٧/ ٢٣.

(٤) تفسير المنار ١٠/ ٤٤٣.

## ثالثًا: الحج وأثره على وحدة المسلمين:

الحج فريضة فرضها الله عز وجل على عباده ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وهو خامس أركان الإسلام، والحج فيه توحيد الله عز وجل ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ٢٦ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ﴾ [الحج: ٢٦ - ٢٧].

وفيه أيضًا توحيد لأمة الإسلام.

إن وحدة المسلمين تتجلى في أبهى صورها ومعانيها في شعيرة الحج، هذا الركن العظيم الذي يتكرر كل عام، ويجتمع له كثير من المسلمين من شتى بقاع المعمورة، ويمثلون فيه أمة الإسلام على اختلاف أجناسها، وبلدانها، وألوانها، ولغاتها؛ يجتمعون في مكان واحد، وفي زمان واحد، وفي لباس واحد، ويؤدون نسكًا واحدًا، ويقفون في المشاعر موقفًا واحدًا، يعلنون فيه توحيدهم لرب العالمين، وخضوعهم لشريعته، وتوحدهم تحت لوائه ورايته.

لقد بين الله عز وجل لعباده المؤمنين أن في الحج منافع لهم، فقال سبحانه: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٧ - ٢٨].

ولقد ذكر المفسرون أن هذه المنافع منها منافع دينية من مغفرة للذنوب، ورفعة للأجور، ومنافع دنيوية من تحصيل التجارة والمكاسب[1].

قال ابن عاشور: «وتنكير ﴿مَنَٰفِعَ﴾ للتعظيم المراد منه الكثرة، وهي المصالح الدينية والدنيوية؛ لأن في مجمع الحج فوائد جمة للناس: لأفرادهم ولمجتمعهم»[2].

ومن أعظم المنافع التي ينالها المسلمون من أداء فريضة الحج اجتماع أهل التوحيد في صعيد واحد؛ يتعرف بعضهم على بعض، ويحدث بعضهم بعضًا عن أخبارهم وأخبار المسلمين في بلادهم، ويتبادلون الآراء والمنافع، ويتناصحون فيما بينهم، ويتناقشون مشكلاتهم، ويتعاونون على البر والتقوى، ويظهرون قوتهم، ويعلنون وحدتهم، ويغيظون أعداءهم، وفي ذلك كله من مصلحة لأمة الإسلام ما لا يخفى[3].

إن توحيد الأمة الإسلامية من خلال العبادات لا يظهر من خلال الصلاة والزكاة والحج فقط؛ ولكنه يظهر من خلال العبادات

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٠/ ٤٤.
(٢) التحرير والتنوير ١٧/ ٢٤٥.
(٣) انظر: التفسير الوسيط، سيد طنطاوي ٩/ ٣٠٣، التفسير المنير، الزحيلي ١٧/ ١٩٥.

كلها؛ ففي الصيام توحيد للأمة، حيث يصوم المسلمون في شهر واحد، يمسكون عن الطعام معًا، ويفطرون معًا، ويشعر غنيهم بفقيرهم، ويخرجون صدقة فطرهم معًا، وبعد تمام الصيام يجتمعون في مصلى العيد يهنئ بعضهم بعضًا.

ومن العبادات دعاء المسلم لإخوانه المسلمين، ومن العبادات بر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الجيران وتفقد المساكين والأرامل والأيتام، ولا يخفى ما في هذه العبادات من عوامل الوحدة والألفة بين أبناء الإسلام جميعًا.

## أسباب الوحدة

إن وحدة أمة من الأمم لا بد أن يكون لها أسباب، ولا بد أن يكون لها أسس وأصول تعتمد عليها؛ فإن الذي يوحد الناس أمر مشترك بينهم؛ يجمعهم ويوحدهم، ويجعل هدفهم واحدًا، وغايتهم واحدة، وهمهم واحدًا، وهكذا تتوحد الشعوب والأمم.

وإن أمة الإسلام عندها من أسباب الوحدة ومقوماتها ما هو أكثر وأعظم من غيرها من الأمم؛ فأمة الإسلام تجمعها عقيدة واحدة، وتربطها شريعة واحدة، لها ربٌّ واحد، ولها كتاب واحد، ونبي واحد صلى الله عليه وسلم، وقبلة واحدة، وغاية واحدة، وكل ذلك من أسباب وحدتها، ومقومات قوتها.

وسنعرض في النقاط الآتية مجمل أسباب وحدة الأمة الإسلامية:

### أولًا: طاعة الله وطاعة رسوله:

إن أمة الإسلام أمةٌ ربانيةٌ، تؤمن بالله عز وجل ربًا، وتؤمن بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم نبيًا ورسولًا، وتتعبد ربها وتتقرب إليه بطاعته وبطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا الأمر هو أعظم ما يجمع هذه الأمة؛ فليس بين أفرادها من يعبد إلاهًا آخر، أو يتبع نبيًا غير محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وليس بين أفرادها من يقدم طاعة مخلوق

مهما عظم على طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم.

إن أصل كلمة الإسلام مأخوذ من الاستسلام لله عز وجل، والانقياد له سبحانه، وهذا أصل الدين؛ بل هذا هو الدين كله، وهذا هو الذي يميز المسلم عن غيره؛ فالمسلم من استسلم لله وانقاد له، فأطاعه وأطاع رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١].

وغير المسلم لم يستسلم لله، ولم يطعه سبحانه، ولم يتبع نبيه صلى الله عليه وسلم.

إن الله عز وجل أمر عباده المؤمنين بالاعتصام بحبله سبحانه فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فلم يأمر سبحانه بمجرد الاعتصام؛ وإنما بين بماذا يكون الاعتصام، أمرهم أن يعتصموا بحبله؛ وحبل الله هو دينه، أو هو كتابه، أمر الله عز وجل المؤمنين أن يعتصموا ويستمسكوا به، ويعتمدوا عليه؛ لأنه حبل النجاة، وسبب السلامة، أمرهم ربهم أن يفعلوا ذلك جميعًا، كلهم مجتمعين(١).

ولقد جاء في الحديث الشريف عن جابر رضي الله عنه قال: (كنا جلوسًا عند النبي صلى الله عليه وسلم فخط خطًا هكذا أمامه، فقال: (هذا سبيل الله عز وجل)، وخطين عن يمينه، وخطين عن شماله، قال: (هذه سبيل الشيطان)، ثم وضع يده في الخط الأسود، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣](٢).

لقد أمر الله عز وجل عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله في كثير من آيات الذكر الحكيم: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

وبين لهم أن في تلك الطاعة الفلاح والفوز العظيم، قال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١].

إن طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم المتمثلة باتباع الوحي الذي أنزله سبحانه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لهي العاصمة الواقية من كل ضلال، ولم يضمن الله عز وجل لأحد ألا يكون

(١) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي ١/ ٧٣.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، رقم ١٥٣١٢، ٣/ ٣٩٧.
وصححه الألباني في ظلال الجنة ١/ ٨.

ضالًا في الدنيا، ولا شقيًا في الآخرة إلا لمتبعي الوحي وحده.

قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

وقد دلت هذه الآية على انتفاء الضلال والشقاوة عن متبعي الوحي، ودلت آية البقرة على انتفاء الخوف والحزن عنهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨][(١)].

إن الأمة إذا تمسكت بوحي ربها، واستنارت بالهدى الذي أنزله الله لها، توحدت على ذلك، وأي شيء يوحد الأمة أعظم من ذلك؟!

## ثانيًا: التحاكم إلى القرآن والسنة:

إذا كانت أمة الإسلام أمةً متبعةً للوحي الرباني، ومطيعةً لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم، فلا بد لها أن ترجع دائمًا إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فهما مصدرا التشريع بالنسبة لها، وهما المرجع في كل ما يطرأ عليها من أحداث، وبهما تستنير وتسترشد، ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

وبذلك تتوحد الأمة أعظم توحد؛ حينما يكون لها مرجع واحد ترجع جميعها إليه؛ ترضى بحكمه، ولا تختلف عليه.

لذا فقد أمر الله عز وجل هذه الأمة إن تنازعت في شيء أن ترده إلى القرآن والسنة؛ حتى يزول التنازع، ويظهر الحق من الباطل.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

قال ابن كثير: « وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه؛ من أصول الدين وفروعه، أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠].

فما حكم به الكتاب والسنة، وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟! ولهذا قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: ردوا الخصومات والنزاعات إلى كتاب الله وسنة رسوله؛ فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة، ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمنًا بالله ولا باليوم الآخر، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي: التحاكم إلى كتاب

(١) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي ٧/ ٣٠٢.

الله وسنة رسوله والرجوع إليهما في فصل النزاع خير وأحسن تأويلًا، أي: وأحسن عاقبةً ومآلًا»[1].

وقال أبو بكر الجزائري: «الآية خطاب عام للولاة والرعية، فمتى حصل خلاف في أمر من أمور الدين والدنيا، وجب رد ذلك إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فما حكما فيه وجب قبوله حلوًا كان أو مرًا، وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فيه أن الإيمان يستلزم الإذعان لقضاء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهو يفيد أن رد الأمور المتنازع فيها إلى غير الشرع قادح في إيمان المؤمن.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ يريد ذلك الرد والرجوع بالمسائل والقضايا المختلف فيها إلى الكتاب والسنة هو خير حالًا ومآلًا، لما فيه من قطع النزاع والسير بالأمة متحدة متحابة متعاونة»[2].

ولقد أنكر الله عز وجل على عباده المؤمنين أن يقع بينهم الخلاف والاقتتال، وآيات الله تتلى عليهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠٠ - ١٠١].

ففي الآية الثانية تعجب وإنكار على المؤمنين أن يقعوا في الكفر، أو أن يتفرقوا بعد وحدتهم، مع أنه قد اجتمع لهم كل الأسباب الداعية إلى الإيمان، الصارفة عن الكفر؛ فآيات الله تتلى عليهم ليل نهار، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم؛ يبين لهم الحق، ويبصرهم الهدى والرشاد، وينهاهم عن الغي والضلال، فليس لهم عذر إن ارتدوا على أعقابهم، أو رجعوا إلى أمر جاهليتهم[3].

قال القرطبي: «ويدخل في هذه الآية من لم ير النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن ما فيهم من سنته يقوم مقام رؤيته، قال الزجاج: يجوز أن يكون هذا الخطاب لأصحاب محمدٍ صلى الله عليه وسلم خاصة؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيهم، وهم يشاهدونه، ويجوز أن يكون هذا الخطاب لجميع الأمة؛ لأن آثاره وعلاماته صلى الله عليه وسلم والقرآن الذي أوتي باقٍ فينا مكان النبي صلى الله عليه وسلم فينا، وإن لم نشاهده»[4].

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٣٧.
(٢) أيسر التفاسير ١/ ٤٩٧.
(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٧/ ٦١، أنوار التنزيل، البيضاوي ١/ ٧٢.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ٤/ ١٥٦.

إنه لا ينبغي لأمة الإسلام أن تختلف أو تتنازع في حكم أمر من الأمور ما دام بينها كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، تتحاكم إليهما، وترضى بما فيهما، وتذعن وتسلم لحكم ربها عز وجل، فهل يبقى خلاف حينئذ؟!

وبهذا فإن التحاكم إلى القرآن والسنة هو أعظم ما تتوحد عله أمة الإسلام اليوم؛ لأن ذلك هو الذي وحد العرب والناس الذين دخلوا في الإسلام بعد أن كانوا مشتتين ممزقين متناحرين.

ولا بد من التنبيه هنا إلى أن التحاكم إلى القرآن والسنة ليس مجرد شعار يرفع، أو كلام يدعيه الجميع؛ بل لا بد أن يكون هذا التحاكم أمرًا حقيقيًا واقعيًا، ولا بد أن يكون هذا التحاكم مبنيًا على فهم صحيح للقرآن والسنة، وليس فهمًا حسب الأهواء، ولتجتمع الأمة على الفهم الذي فهمه القرن الأول من الصحابة الأخيار الأطهار، فهذا هو الفهم الصحيح الذي نجتمع عليه ولا نفترق.

## ثالثًا: الخلق الحسن:

إن من أعظم أسباب الوحدة - بعد الاعتصام بالقرآن والسنة- حسن الخلق؛ إذ الأخلاق الحسنة تجمع ولا تفرق، تنشر الألفة والمحبة وتزيل الضغينة والشحناء، وبالأخلاق الحسنة الكريمة يتحابب المسلمون، ويعفو بعضهم عن بعض؛ فتبقى أمتهم أمة واحدة، ويبقى بينهم الود والوصال.

ولقد أكرم الله عز وجل هذه الأمة بنبيه محمدٍ صلى الله عليه وسلم؛ أكرم الناس خلقا، وأعظمهم أدبًا، قال الله عز وجل في شأنه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران: ١٥٩].

«أي برحمة الله لك ولأصحابك، من الله عليك بأن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك، ولو كنت فظًا سيئ الخلق قاسي القلب لانفضوا من حولك؛ فالأخلاق الحسنة تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبها من المدح والثواب، والأخلاق السيئة تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذم والعقاب» [(١)].

«إن الناس في حاجة إلى كنفٍ رحيمٍ، وإلى بشاشةٍ سمحةٍ، وإلى ودٍ يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم، في حاجة إلى قلبٍ كبيرٍ يعطيهم ويحمل

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص١٥٤.

همومهم، يجدون عنده دائمًا الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود، وهكذا كان قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما غضب لنفسه قط، ولا احتجز لنفسه شيئًا من أعراض هذه الحياة الدنيا؛ بل أعطاهم كل ما ملكت يداه في سماحة ندية، ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم، وما من واحدٍ منهم عاشره أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه؛ نتيجة لما أفاض عليه صلى الله عليه وسلم من نفسه الكبيرة الرحيبة»[(١)].

لقد بين الله تعالى أن ثمرة اللين والخلق الحسن هي المحبة والاجتماع عليه صلى الله عليه وسلم، وأن خلافها من الجفوة والخشونة مؤدٍ إلى التفرق والنفور[(٢)]؛ لذا أمر الله عز وجل عباده المؤمنين بأن يعامل بعضهم بعضًا باللين والعفو والمسامحة، وألا يردوا السيئة بمثلها؛ ولكن يدفعوها بالتي هي أحسن، ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

فهذا أمر من الله عز وجل لعباده المؤمنين بأن يقولوا ويعملوا التي هي أحسن، أمرهم بحسن الأدب، وإلانة القول، وخفض الجناح، وعدم مجاراة نزغات الشيطان؛ فالشيطان ينزغ بين الإخوة بالكلمة الخشنة القاسية تفلت، وبالرد السيئ يتبعها، وحينها ينقلب جو الود والمحبة والوفاق إلى جوٍ مشوبٍ بالخلاف ثم بالجفوة ثم بالعداء[(٣)].

إن الشيطان يتربص بالمؤمنين، ويتلمس منهم السقطات التي تقع من أفواههم، والعثرات التي تنطق بها ألسنتهم، لكي يشيع الشر بينهم، ويبذر بذور الخصومة والبغضاء في صفوفهم، ويهيج أعداءهم عليهم، وهذا أمر متوقع من الشيطان؛ لأنه ﴿كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ حريص على الإفساد بين الناس، ظاهر العداوة لهم منذ القدم[(٤)].

ولقد رغب الله عز وجل عباده المؤمنين في معاملة إخوانهم بالتي هي أحسن فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

أي: لا يستوي فعل الحسنات والطاعات لأجل رضا الله تعالى، ولا فعل السيئات والمعاصي التي تسخطه ولا ترضيه، ولا يستوي الإحسان إلى الخلق، ولا الإساءة إليهم، لا في ذاتها، ولا في وصفها، ولا في جزائها، ثم أمر سبحانه بإحسان خاص، له موقع كبير، وهو الإحسان إلى من أساء إليك،

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ١/ ٥٠١.
(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان ٣/ ١٠٤.
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٠/ ٢٧٧، في ظلال القرآن، سيد قطب ٤/ ٢٢٣٤.
(٤) انظر: التفسير الوسيط، سيد طنطاوي ٨/ ٣٧٣.

فقال: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصًا من له حق كبير عليك، كالأقارب، والأصحاب، ونحوهم، إساءة بالقول أو بالفعل، فقابله بالإحسان إليه، فإن قطعك فصله، وإن ظلمك، فاعف عنه، وإن تكلم فيك غائبًا أو حاضرًا، فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين، وإن هجرك، وترك خطابك، فطيب له الكلام، وابذل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة، ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ أي: كأنه قريب شفيق (١).

إن هذه الآية الكريمة تأمر بأعلى الأخلاق وأكرمها، لا تأمر بالعفو عن المسيء فقط؛ بل تأمر بمقابلة الإساءة بالتي هي أحسن، كما لو أساء إليك رجل إساءة فالحسنة أن تعفو عنه، والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك، مثل أن يذمك فتمدحه، أو يقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه، وثمرة ذلك الخلق الكريم الرفيع ثمرة عظيمة، إذ إن ثمرة ذلك أن تنقلب العداوة إلى محبة، والشقاق إلى وفاق، ويصير العدو الخصم كأنه وليٌّ حميمٌ (٢).

ونظير هذه الآية قول الله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

« أي إذا أساء إليك أعداؤك، بالقول والفعل، فلا تقابلهم بالإساءة - مع أنه يجوز معاقبة المسيء بمثل إساءته - ولكن ادفع إساءتهم إليك بالإحسان منك إليهم، فإن ذلك فضل منك على المسيء، وأدعى لجلب المسيء إلى الحق، وأقرب إلى ندمه وأسفه، ورجوعه بالتوبة عما فعل، وليتصف العافي بصفة الإحسان، ويقهر بذلك عدوه الشيطان، وليستوجب الثواب من الرب عز وجل.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]» (٣)

## رابعًا: الإصلاح بين المتنازعين:

أمر الله عز وجل بالإصلاح بين المتنازعين من المؤمنين، حيث قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩ - ١٠].

فهذه الآية توجب على المؤمنين الإصلاح بين إخوانهم إن حدث نزاع أو

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٧٤٩.
(٢) انظر: مدارك التنزيل، النسفي ٤/ ١٣٨.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٥٥٨.

قتال بين طائفتين منهم، ولا يخفى ما في الإصلاح بين المتنازعين من ترسيخ لوحدة الأمة المسلمة، وصيانة لها من تشقق بنيانها، وتفكك وحدتها.

إن التنازع بين المؤمنين يمزق صفهم، ويوقع العداوة بينهم، فيوهن قوتهم، ويغري أعداءهم بهم، وهذا كله شرٌّ يأباه الإسلام؛ لذا كان الأمر بالمبادرة إلى الإصلاح بين المتنازعين قبل أن يكبر الخلاف، ويعظم النزاع؛ فأمة الإسلام لا يليق بها تنازع أفرادها، وإنما اللائق بها الإخوة والمحبة والألفة بين أفرادها جميعًا.

وقد سبق في المطلب الأول من المبحث الثالث بيان حث القرآن الكريم على الإصلاح بين المتنازعين من المؤمنين فلا داعي لتكرار ذلك هنا.

### خامسًا: الإعراض عن الجاهلين:

لا شك أن مجاراة الجاهلين، ومقابلة جهلهم بالمثل من الأمور التي تطعن في خاصرة الأخوة الإيمانية، وتزعزع الوحدة والألفة بينهم، إذ إن مجاراة هؤلاء الجاهلين يزيدهم جهلًا، وينشئ التنازع والخلاف بين صفوف المسلمين، فيشتت شملهم، ويمزق كلمتهم، ولا يخفى ما في الإعراض عن أولئك الجاهلين من مصلحة للمسلمين، بصيانة وحدتهم وإدامة اجتماعهم وتآلفهم.

ولقد أمر الله عز وجل بالإعراض عن الجاهلين فقال سبحانه: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

ففي الإعراض عنهم مصلحة خاصة للمعرض، حيث يسلم من أذيتهم، وفيه مصلحة عامة للمجتمع، حيث يسلم المجتمع المسلم من حدوث النزاعات والخلافات التي لا تحمد عقباها.

والآية السابقة جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم؛ فالذي ينبغي أن يعامل به الناس أن يأخذ منهم العفو، وهو ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفون ما لا تسمح به طبائعهم؛ بل يشكر من كل أحد ما قدمه، من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض الطرف عن نقصهم، وليأمروا بكل قول حسن وفعل جميل، وخلق حسن؛ من صلة رحم، أو بر والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية، أما الجاهلون منهم فقد أمر الله تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه، وعدم مقابلته بجهله، فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه، ومن حرمك لا تحرمه، ومن قطعك

فصله، ومن ظلمك فاعدل فيه [١].

قال القرطبي: « هذه الآية من ثلاث كلمات، تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات؛ فقوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين، ودخل في قوله: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار، وفي قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ الحض على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة » [٢]

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٣١٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٣٤٤.

## عوائق الوحدة

إذا كان لوحدة الأمة الإسلامية أسبابٌ ومقوماتٌ عظيمةٌ من شأنها أن تجعل أمة الإسلام أعظم الأمم توحدًا واتحادًا واجتماعًا، فإن هناك عوائق قد تقف حائلًا دون تحقيق تلك الوحدة، فالوحدة إذا وجدت فلا بد من صيانتها من العوامل التي تؤدي إلى تحللها وتفككها، وفي المطالب الآتية بيان لأهم تلك العوائق التي تحول دون وحدة المسلمين.

### أولًا: اتباع نزغات الشيطان:

لقد حذرنا ربنا عز وجل من الشيطان تحذيرًا عظيمًا، وبين أنه عدوٌّ لنا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

فلا ينبغي للمؤمنين أن يتبعوا خطواته؛ لأنه لا يأمر إلا بالشر والفحشاء والمنكر، ولا يريد لحزبه إلا أن يكونوا معه من أصحاب السعير.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[النور: ٢١].

وقد بين لنا ربنا عز وجل أن عداوة الشيطان لنا قديمة منذ خلق آدم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧].

والآيات القرآنية التي تحذرنا من الشيطان الرجيم وتبين لنا أساليبه الخبيثة في إضلال من يتبعه كثيرة ليس المجال هنا لحصرهـا.

وإن من أخبث غايات الشيطان وأهدافه أن يوقع الشر والخصومة بين المؤمنين، وأن يبدل محبتهم لبعضهم بغضًا، وأن يقلب أخوتهم عداوة، وإن أسعد لحظات الشيطان الرجيم يوم يرى المؤمن قد رفع سلاحه على أخيه المؤمن، ويرى الخصومات والنزاعات قد اشتعلت نيرانها، وبرز شرها بين أمة الإسلام، حتى إن الشيطان ليفرح بالخصومة التي تقع بين الرجل وزوجه.

ففي الحديث عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه؛ فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة؛ يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئا، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت)، قال الأعمش: أراه قال: (فيلتزمه)**[١].

وعنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم)**[٢].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(إذا أصبح إبليس بث جنوده، فيقول: من أضل اليوم مسلما ألبسته التاج، فيجيء أحدهم فيقول: لم أزل به حتى عق والده، فقال: يوشك أن يبره، ويجيء أحدهم فيقول: لم أزل به حتى طلق امرأته، فيقول: يوشك أن يتزوج، ويجيء أحدهم فيقول: لم أزل به حتى أشرك فيقول: أنت أنت، ويجيء أحدهم فيقول: لم أزل به حتى قتل، فيقول: أنت أنت ويلبسه التاج)**[٣].

إن المسلم إذا اتبع خطوات الشيطان وقع في تلك المهلكات الموبقات، وإن المجتمع المسلم متى اتبع نزغات الشيطان تشققت وحدته، وتصدع صفه، وخارت قوته، واشتغل أفراده بخصومات أشعلها الشيطان الرجيم بينهم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه السرايا لفتنة الناس، رقم ٧٢٨٤، ٨/ ١٣٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه السرايا لفتنة الناس، رقم ٧٢٨١، ٨/ ١٣٨.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الحدود، رقم ٨١٤١، ٤/ ٣٥١.
وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، رقم ٢٤٤٩.

لذا فإن من أخطر العوائق في طريق تحقيق وحدة الأمة الإسلامية السماح للشيطان أن يوقع بيننا، وأن يشعل فتيل الفتنة المهلكة بين أفراد أمتنا، ومتى أرادت الأمة العودة إلى وحدتها التي كانت عليها في عصورها الأولى فعليها أن تغلق الباب في وجه الشيطان، وأن تفوت عليه الفرصة في التحريش بين المؤمنين، ولو عقل المؤمنون ذلك لزالت كثير من الخصومات والنزاعات التي بينهم.

لقد أرشدنا الله عز وجل إلى كيفية تفويت الفرص على الشيطان الذي يبغي الفساد بيننا، وذلك بالالتجاء إلى الله عز وجل، والاستعاذة به سبحانه من ذلك الرجيم.

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

فمتى تعرض للعبد من الشيطان وسوسة تثير غضبه، وتحمله على خلاف ما أمره الله؛ فليستعذ بالله، وليلتجئ إلى حماه؛ فإنه سبحانه هو السميع لدعائه، العليم بكل أحواله، القادر على دفع كيد الشيطان عنه، فالآية الكريمة ترشد المؤمن إلى العلاج الذي يحميهم من وسوسة الشيطان وكيده، ألا وهو الاستعاذة بالله السميع لكل شيء، العليم بكل شيء، القادر على كل شيء[١].

وبين لنا ربنا سبحانه أمرًا آخر علينا العمل به لتفويت الفرصة على الشيطان الرجيم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

حيث أمرنا سبحانه بأن نتأدب في قولنا وفعلنا، وأن نلين في مخاطبتنا، ولا يخرج منا إلا الكلام الحسن، ففي ذلك حفاظ على المودة بين المؤمنين، وتفويت لغاية الشيطان الرجيم[٢].

قال ابن عاشور: «جملة ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ تعليل للأمر بقول التي هي أحسن، والمقصود من التعليل أن لا يستخفوا بفاسد الأقوال؛ فإنها تثير مفاسد من عمل الشيطان، ولما كان ضمير ﴿بَيْنَهُمْ﴾ عائدا إلى عبادي كان المعنى التحذير من إلقاء الشيطان العداوة بين المؤمنين، تحقيقًا لمقصد الشريعة من بث الأخوة الإسلامية»[٣].

## ثانيًا: التنازع والاختلاف:

لا شك أن التنازع والاختلاف من أهم

(١) انظر: التفسير الوسيط، سيد طنطاوي ١٢/ ٣٥٣.
(٢) انظر: التفسير الميسر، مجمع الملك فهد ص٤٧.
(٣) التحرير والتنوير ١٥/ ١٣٢.

عوائق وحدة الأمة الإسلامية، إذ كيف تتوحد الأمة وأفرادها متنازعون مختلفون؟! وكيف يكون لهم كيان موحد متماسك إذا كانت قلوبهم مختلفة؟! وهذا أمر بدهي لا يحتاج إلى دليل ولا برهان.

إن الرعيل الأول من هذه الأمة كانوا على المنهج الذي جعله الله عز وجل لهم، كانوا متحدين على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ كانت لهم قلوب متآلفة، ولم يكن بينهم نزاع ولا شقاق، فأقاموا أمةً كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، ومسلمو اليوم ابتعدوا عن كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، وتنافرت قلوبهم، ودب الخلاف بينهم، وتشتتوا إلى دويلات وأحزاب وجماعات، لا تكاد جماعة منهم تتفق مع أختها، وانشغل كل حزب بنفسه، وأصبحت وحدة الأمة الإسلامية حلمًا يتمناه كل مسلم؛ لكنه يراه بعيد المنال، بعد أن كان أمرًا واقعًا.

إن الله عز وجل قد حذر هذه الأمة من الاختلاف والنزاع، وبين لها العواقب الوخيمة المترتبة على ذلك؛ كي تحذر الأمة وتتجنب كل ما يؤدي إلى الاختلاف بين أفرادها.

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

فأمر سبحانه في هذه الآية بطاعته وبطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك تجنب للنزاع والخلاف، ثم نهى سبحانه عن التنازع تأكيدًا على بيان خطره وشره، ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ نهاهم سبحانه أن يتنازعوا فيما بينهم فيختلفوا فيكون ذلك سببًا لتخاذلهم وفشلهم وذهاب قوتهم ووحدتهم، وقد كان للصحابة رضي الله عنهم في باب الشجاعة والائتمار بما أمرهم الله ورسوله به، وامتثال ما أرشدهم إليه ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم، ولا يكون لأحد ممن بعدهم؛ فإنهم ببركة الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته فيما أمرهم فتحوا القلوب والأقاليم شرقًا وغربًا في المدة اليسيرة، مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم من الروم والفرس والترك والبربر وأصناف السودان والقبط وطوائف بني آدم، قهروا الجميع حتى علت كلمة الله، وظهر دينه على سائر الأديان، وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها في أقل من ثلاثين سنة[(١)].

ولقد سبق الحديث عن نهي القرآن الكريم عن الاختلاف والفرقة والتنازع، وإنما أشرنا إليه هنا لبيان أن التنازع والاختلاف هو أخطر ما يهدد وحدة المسلمين واجتماعهم.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/ ٩٨.

### ثالثًا: اتباع الهوى:

إن الخلاف والتنازع إذا وقع بين المسلمين فليس شرطًا أن يكون عائقًا أمام وحدتهم، لأنهم إن ردوا ما اختلفوا فيه إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لم يبق خلاف ولا نزاع؛ ولكن المشكلة تكبر وتعظم إذا كان هذا الاختلاف ناتج عن اتباع الهوى، وصاحب الهوى يرفض الحق، ولا يتحاكم إلى كتاب أو سنة؛ « فإن الهوى يعمى ويصم، وصاحب الهوى يقبل ما وافق هواه بلا حجة توجب صدقه، ويرد ما خالف هواه بلا حجة توجب رده»(1).

لذلك حذرنا القرآن الكريم من اتباع الهوى تحذيرًا شديدًا، وبين لنا أن اتباع الهوى يبعد الإنسان عن العدل؛ فالعدل والهوى لا يجتمعان أبدًا.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

ففي هذه الآية أمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط والعدل، فلا يعدلوا عنه يمينًا ولا شمالًا، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يصرفهم عنه صارف، وأمرهم سبحانه أن يؤدوا الشهادة ابتغاء وجه الله، فحينئذ تكون صحيحة عادلة حقًا، خالية من التحريف والتبديل والكتمان، وأمرهم أن يؤدوها ولو عاد ضررها على الشاهد أو على والديه أو على قرابته؛ فإن الله سيجعل لمن أطاعه فرجًا ومخرجًا من كل أمر يضيق عليه، وإن الحق حاكم على كل أحد(2).

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ أي: « فلا تتبعوا شهوات أنفسكم المعارضة للحق، فإنكم إن اتبعتموها عدلتم عن الصواب، ولم توفقوا للعدل؛ فإن الهوى إما أن يعمي بصيرة صاحبه حتى يرى الحق باطلًا والباطل حقًا، وإما أن يعرف الحق ويتركه لأجل هواه، فمن سلم من هوى نفسه وفق للحق وهدي إلى الصراط المستقيم»(3).

إن اتباع الهوى مهلك ومضل، يحمل صاحبه على الشهادة بغير الحق، وعلى الجور في الحكم، وعلى غير ذلك من الظلم وتجاوز الحدود.

قال الله تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦](4).

لقد بين ربنا سبحانه أن من عدل عن

(١) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية ٦/ ١٩٢.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٣١٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٢٠٨.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٥/ ٤١٣.

الحق واتبع هواه فهو أضل الناس، وفي ذلك تحذير شديد من اتباع الهوى بغير علم.

قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

يخبر سبحانه في الآية عمن ترك اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وما معه من الحق، وأصر على اتباع هواه من غير علم ولا هدى، «فهذا من أضل الناس؛ حيث عرض عليه الهدى، والصراط المستقيم، الموصل إلى الله وإلى دار كرامته، فلم يلتفت إليه ولم يقبل عليه، ودعاه هواه إلى سلوك الطرق الموصلة إلى الهلاك والشقاء فاتبعه وترك الهدى، فهل أحد أضل ممن هذا وصفه؟»[(١)].

قال الألوسي: « ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ استفهام إنكاري للنفي، أي لا أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله؛ لأن من فعل ذلك فهو أضل من كل ضال»[(٢)].

إن صاحب الهوى لا حاكم له ولا زمام، ولا قائد له ولا إمام، إلهه هواه، حيثما تولت مراكبه تولى، وأينما سارت ركائبه سار، فلا يسمع لكلام داعية ولا قائد ولا عالم إلا ما وافق هواه، تراه معتزلًا كل من يخالف هواه، وإن كان أهدى منه سبيلًا، مقربًا لكل من هو على شاكلته وإن كان للشيطان قبيلًا، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما وافق هواه، وهذا الصنف من الناس لا يبقي للمسلمين وحدة، ولا يترك لهم اجتماعًا.

لقد حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من طائفة من الناس قد اتبعوا أهواءهم، فمزقوا وحدة الأمة، واستباحوا دماء إخوانهم وأموالهم، إنهم الخوارج، الذين خرجوا على علي رضي الله عنه، فعن عبيد الله بن أبى رافع رضي الله عنه أن الحرورية (أهل بلد قرب الكوفة تسمى حروراء) لما خرجت على علي بن أبى طالب رضي الله عنه قالوا: لا حكم إلا لله، قال علي رضي الله عنه: كلمة حق أريد بها باطل، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف ناسًا إني لأعرف صفتهم في هؤلاء **(يقولون الحق بألسنتهم، لا يجوز هذا منهم - وأشار إلى حلقه - من أبغض خلق الله عز وجل إليه)**[(٣)].

إن هؤلاء الخارجين عن طاعة الإمام يرون خروجهم على إمام المسلمين علي رضي الله عنه بتأويل فاسد لآيات ثابتة وصريحة في كتاب الله، إنهم يزعمون بإعلانهم (لا حكم إلا لله) أنهم المنحازون

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٦١٧.

(٢) روح المعاني ٢٠/٩٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج، رقم ٢٥١٧، ٣/١١٦.

لحكم الله، والإمام خارج عليه؛ قلبًا للحقيقة وتبريرًا لخروجهم، وهذا كله بسب اتباعهم لهواهم، ورفضهم للحق.

إن من اتبع هواه - من فرق أو أحزاب أو جماعات أو أفراد - يشق عصا المسلمين، ويكون عائقًا أمام وحدتهم؛ لأنه لا ينقاد إلى ما توحد المسلمون عليه من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وهذه هي الخطورة، وأصحاب الأهواء يعملون على إحداث الفتن داخل الأمة، وإثارة الشبهات، وكثرة المنازعات، مما يؤدي إلى تبديد القوى، وإنهاك الطاقات، وتشتيت الجهود، وذلك طريق الفشل الذي منيت به الأمة الإسلامية، ولا يمكن أن تتوحد أمة المسلمين اليوم إذا ما تمسك كل فريق بهواه، وأبى أن ينزل على حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا بد من تحاكم الجميع إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم إذا ما أردنا أن تعود للأمة وحدتها المباركة.

وهذا لن يكون إلا بجهود العلماء والعقلاء من كل فرقة من فرق المسلمين، يجتمع هؤلاء العلماء القادة لفرقهم وطوائفهم يتحاورون ويتناصحون ويتباحثون في نقاط الخلاف التي بينهم، ويجتهدوا في الوصول إلى الحق الذي ينصاع إليه الجميع، ولو أخلصوا في عملهم هذا وقصدوا به وجه الله عز وجل لوفقهم الله عز وجل، وجمع كلمتهم على الحق المبين، ومن أصر بعد ذلك على هواه فعلى المسلمين أن يأخذوا على يديه، ولا يتركوه ليهلك ويهلك المسلمين معه.

## رابعًا: الإعجاب بالرأي:

بالإضافة إلى العوائق السابقة في طريق وحدة الأمة الإسلامية، هناك عائق آخر لا ينبغي أن يغفل عنه؛ فهو خطير أيضًا، وبوجوده يصعب حصول الوحدة المنشودة، إنه الإعجاب بالرأي، وذلك بأن تأخذ كل فرقة أو جماعة من المسلمين برأي معين تستحسنه وتتمسك به، تظن أنه الحق، وأن الحق معها دون غيرها، ومن خالفها فهو على خطأ؛ بل ربما يصل الأمر عند بعضهم لأن يتجرأ ويخرج غيره ممن لم يوافق رأيه من دائرة الإسلام.

إن الإعجاب بالرأي مثله مثل اتباع الهوى؛ كلاهما يحجب صاحبه عن قبول الحق، وكلاهما يسهم في شق الصف، وإحداث الفرقة، وإعاقة الوحدة، فأنى لمن أعجب برأيه وتعصب له أن يستمع لغيره؟ فضلًا عن أن يتنازل له.

لقد حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من الإعجاب بالرأي والنفس، فعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

**قال: (ثلاث منجيات، وثلاث مهلكات؛ فأما المنجيات فالعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية، وأما المهلكات فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه)** (1).

إن أمة الإسلام إن أرادت أن تحقق ما أراد لها ربها عز وجل من توحدٍ واجتماعٍ واعتصامٍ، إن أرادت أن تعيد وحدتها المباركة، فلا بد لها من تجاوز كل هذه العقبات والمعوقات، وهذا أمر واجب على جميع أفراد الأمة، على الجميع أن يبذلوا الجهود، ويضحوا بالمصالح الخاصة من أجل المصلحة العامة.

فعلى العلماء والدعاة أن يوعوا المسلمين بأهمية وحدة أمتهم، وأن يرشدوهم إلى دورهم في تحقيق هذه الوحدة، وعليهم أن يتحاوروا فيما بينهم، وينصح بعضهم بعضًا، ويكون الحكم بينهم إذا ما اختلفوا في شيء إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وعلى أولي الأمر أن يتحاوروا معًا، وأن يتصفوا بالشجاعة والقوة، فيمد أحدهم يده إلى إخوانه، ويبادر إلى إزالة ما بينه وبين جيرانه المسلمين من حدود وجدر وضعها الأعداء بيننا، ولتتلاقى الشعوب المسلمة، ولتتقاسم لقمة العيش فيما بينها، ولتستغن عن عدوها، والله معها، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

إن وحدة الأمة ليست حلمًا بعيد المنال، وليست مجرد أمنية يتمناها المسلمون ولا يجدون لها أثرًا على أرض الواقع؛ بل هي فريضة شرعية، المسلمون قادرون على تحقيقها، عندما تصدق نيتهم، وتكتمل صحوتهم، وسيحدث ذلك بإذن الله، وما ذلك على الله بعزيز.

---

(1) أخرجه الطبراني في الأوسط، رقم ٥٤٥٢، ٥/٣٢٨، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم ٧٣١، ٢/٢٠٣.
قال الألباني: رواه البزار واللفظ له والبيهقي وغيرهما، وهو مروي عن جماعة من الصحابة، وأسانيده وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال، فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى. صحيح الترغيب والترهيب، رقم ٤٢٣، ١/١٠٨.

## ثمار الوحدة

إن لوحدة المسلمين ثمارًا عظيمة، ومنافع جسيمة؛ بل إن وحدتهم كلها منافع وثمار، كلها خير وفائدة، ولا يمكن أن تحصر ثمار الوحدة في وريقات قليلة أو صفحات معدودة؛ لأن من ثمار الوحدة ما لا يمكن أن يعبر عنه بالكلمات؛ ولكنه يلمس في الطيبات التي يجنيها المسلمون في ظل وحدتهم.

وقبل أن نقف على أهم ثمار الوحدة علينا أن نسأل أنفسنا: ما هي الأضرار التي أصابت المسلمين بسبب فرقتهم وتنازعهم؟ فعندما نقف على عظيم تلك الأضرار نعلم علم اليقين ما في الوحدة والاجتماع من ثمار وفوائد.

أليس المسلمون اليوم – بسبب فرقتهم – في غاية الضعف والهوان؟ أليست دماؤهم مستباحة؟ أليست أعراضهم منتهكة؟ أليست ثرواتهم مسلوبة؟ أليست مقدساتهم أسيرة مدنسة؟ هل يحسب للمسلمين حساب؟ هل يقام لهم وزن أم يجعل لهم اعتبار؟ هل يستطيع المسلمون أن ينشروا دين الله أو أن يبلغوا رسالة الأنبياء؟

هذا حال المسلمين عند فرقتهم، وهذا كله يزول عند وحدتهم واجتماعهم.

وإن من أعظم ثمار الوحدة ما يأتي:

١. **الفوز برضوان الله عز وجل ونيل ثوابه بالتزام طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم.** فالله سبحانه هو الذي أمرنا بالوحدة ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران: ١٠٣]. وهو سبحانه الذي وصف أمتنا بالأمة الواحدة ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]. ورسوله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نكون جسدًا واحدًا (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**)(١).

٢. حصول القوة والهيبة والمنعة لأمة الإسلام، فبالوحدة تقوى شوكة المسلمين نفسيًا وماليًا وعسكريًا وسياسيًا، وإذا قويت الأمة بتوحدها هابها أعداؤها، وحسبوا لها ألف حساب، وبدلًا من أن تكون بلاد المسلمين قصعة تنالها الأيدي من كل حدب وصوب، تصبح كلمتها مسموعة، ومواقفها مهابة، يبادر الجميع لكسب ودها، وتسارع الأمم لنيل رضاها، وبذلك تستعيد الأمة كيانها المسلوب، وتأخذ حقوقها

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين، رقم ٦٧٥١، ٨/ ٢٠.

المنهوبة. إن العقلاء من كل ملة وأمة في القديم والحديث اتفقوا على أن الوحدة سبيل العزة والنصرة، وإن التاريخ يشهد أن من أهم أسباب سقوط الدول على اختلاف عقائدها ومللها التفرق والاختلاف، فالخلافة العباسية - مثلًا - سقطت بعد أن تفرقت الدول الإسلامية في ذلك الوقت، فنشأت دويلات الشام، والمماليك، ولم يبق للخلافة العباسية إلا دويلات متفرقة متناثرة من العالم الإسلامي، فلما زحف المغول إلى بغداد لم يقف في وجه زحفهم غير أهل بغداد فقط، فأعمل المغول فيهم القتل. وسقطت الدولة الإسلامية في الأندلس بعد أن أصبحت دويلات متفرقة متناحرة، ولم تسقط الدولة العثمانية إلا بعد أن تمزق جسدها إلى أشلاء متناثرة، وبعد أن أغرى الصليبيون الجدد بعض زعماء المسلمين بالانفصال عنها، وأحسنوا إتقان العمل بقاعدة: فرق تسد، وهاهو العالم الإسلامي اليوم منقسم إلى دويلات متناحرة، تعيش على هامش التاريخ، وتتجرع ألوان الهوان.

٣. بالوحدة يقام شرع الله، وتقام حدوده، ويعلن الجهاد، وتجمع الزكوات، ويكون للمسلمين خليفة واحد هو أميرهم وإمامهم وقائدهم إلى العزة في الدنيا، والفوز يوم القيامة.

٤. بالوحدة يرفع الظلم عن المظلومين، ويؤخذ على أيدي الظالمين، وتصان الحقوق، وينتشر العدل، ويحارب من يحاول العبث بأمن المسلمين.

٥. المسلمون بوحدتهم يغيظون أعداءهم، ويرهبونهم، وقد قال الله عز وجل ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠]. روى الطبري بسنده عن قتادة: «إذا رأوا من أهل الإسلام ألفة وجماعة وظهورًا على عدوهم، غاظهم ذلك وساءهم، وإذا رأوا من أهل الإسلام فرقة واختلافًا، أو أصيب طرف من أطراف المسلمين، سرهم ذلك وأعجبوا به وابتهجوا به»[(١)].

٦. وحدة المسلمين فيها نفع ورحمة للعالمين جميعًا؛ إذ بوحدة المسلمين يرى الناس جمال الدين، ورفعة أخلاقه، وصورته المشرقة؛ فيرغبون في الدخول فيه أفواجًا.

**موضوعات ذات صلة:**

الاجتماع، الاختلاف، الأمة، السياسة، الضعف، العنصرية، الوهن

(١) جامع البيان، ٧/ ١٥٥.